

الهداية

القاهرة فى ذى القعدة وذى الحجة سنة ٣٢٨ هـ نوفمبر وديسمبر سنة ٩١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

استدراك الفرائض

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) بعد أن بسط الله الأدلة الناطقة بوجوده وألزم المعاندين الحجة بصدق رسالة رسوله النبي الامى. وفضح للعالم أمر المعاندين وعجزهم عن الاتيان بشئ من أمثال سور القرآن وآياته أخذ يحذرهم عاقبة بغيتهم واصرارهم على الكفر من غير شبهة ولا سبب سوى استكبارهم فى الارض واستهجانهم أن يتقادوا وهم على قوم وجلتهم لرجل لم يعرف فيهم من قبل بالحكمة والدرس ولم يكن له من المال ما يجعله رأساً فى قومه (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ولما كان من عادة الكتاب الكريم الجمع بين

يكفى للتخلص من المسائل المحيرة أن توصف بأنها معضلة لا حل لها لكان التفتى منها فى غاية السهولة

ثم قال ومن هذا ترى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يبعد عليهما التنافر والتناقض لان من شأنهما التضافر والتوافق ثم قال ان كثيراً ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية متقادون فى هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان المقررة فى أيامنا هذه بلغوا من تعاطيهم للمظالم ومتاجرتهم بالسرائر ومقارنتهم للفظائع مبلغاً لجاء القتل فى اشمئزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالظلمة منهم رجال هم دعاة الاحاد لا الماديين. انتهى ما أورده من التريية الاستقلالية فقال أحد الشبان اذا وصف القونس (اسكروس) بعض الاوروبيين بالجهل والغباوة ووسم الملحدين بأنهم احداث الدكاترة وسخر منهم فما يكون حال الاغبياء والدكاترة الشرقيين؟

قال الاستاذ لقد علمتم السر فى بغض بعض شبان الافرنج للدين ليقصوا من رؤساء دينهم فما أجعل الشرقى المقلدان للجهول وأى ذنب جناه رؤساء دينه الفقراء المظلومون المهضومون واذا اتبعنا الغربى فى فسوقه أفلا تتبعه فى ايمانه والله ان الغربيين منالساخرون وأختم مقالى بحديث عجيب ذلك أن عظيماً من عظماء بلادنا تلاقى مع المدام (ليديف) العالمة الروسية لشيرة وأنا معها جالس فتكلمت بالفرنسية وعلا بينهما الجدل وازداد الخصام فلما أن خرج قالت ان هذا الرجل ليس بعلم فقد أنكر الدين الاسلامى وهو ظن أنه بذلك يحظى بالشرف لدى فقمة بالحجة وطوقته بالتقريع فما لرجالكم لا يتعلمون وما لهم عن التدكيرة معرضين؟

هنالك شكرا لشبان الثلاثة للاستاذ واستاذنوه فى نشر الحديث فأذنهم

وانصرفوا فرحين وبالبرهان موقنين

أحدهم

الوعد والوعيد والتبشير والتحذير قال في سبيل ذلك مخاطبا الرسول عليه السلام
(وبشر يا محمد) الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار إلى آخر الآية

دلت هذه الآية الكريمة بصريح عبارتها أن الله تعالى وعد الذين
يعملون الصالحات من المؤمنين جنات وبساتين أشجارها مظلة وأثمارها جارية
مطرده وثمارها شهية متشابهة وأزواجها نقية مطهرة

يزعم كثير من أغرار المسلمين وجهالهم أن مجرد قول لا اله الا الله أو
مجرد دعوى الإيمان كافية في نيل الانسان مشوبة الله ووعد الذي بشر به
عباده الصالحين في قرآنه وان حرفوا وأولوا في آياته . أو عصوا الله
واتبعوا خطوات الشيطان . أو اتخذوا علماءهم أربابا من دون الله يأتهم
بأوامرهم وينتهون بنواهيهم نابذين كتاب الله وسنة رسوله خلف ظهورهم
محاريبين الله ورسوله بما يأتونه من مخالفتها سرا وعلنا .

يفعلون جميع ذلك ثم يزعمون أنهم من عذاب الله ناجون وان أمة
(محمد) كما يقولون في مأمن من أن يصيبها شيء من غضب الله وبطشه .
(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم
بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)

ومنهم من جعل يتأثر الأحاديث الموضوعة والقصص المصنوعة فيتصور
عذاب الله وجميعه كأنها دار لذة ونعيم يشعر فيها أهلها بمثل ما يشعر به
أهل الجنة فهم يتلذذون بصنوف العذاب والآلام كما يتلذذ هؤلاء بما في
الجنة من الطيبات . ومن آثار هذه الخزعبلات في أنفس مبتدعيها ومقلديهم
من مستمعيها أنها تهون عليهم أمر العقوبات الآخروية فتسهل عليهم بذلك

ارتكاب المآثم وانتهاك المحارم واجتراح المظالم والاستخفاف بكل ما جاء به
كتاب الله تعالى من ضروب التهديد والوعيد . وقد يما كان غيرهم من
أهل الكتاب مع اقرارهم بان هناك ناراحمية سيصلاها من كذب وتولى
يقولون (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) (قل اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهدا . أم تقولون على الله ما لا تعلمون)

يتصفح القارئ القرآن الكريم فلا يكاد يجد كلمة (الذين آمنوا) الا مقرونة
بعبارة (وعملوا الصالحات) (١) ولا كلمة آمن الا مشفوعة بقوله (وعمل
صالحا) (٢) وفي هذا اشارة الى أن مجرد الاذعان من غير عمل يكاد لا يفيد
صاحبه شيئا وسواء في ذلك من يقول أن الإيمان شيء والاسلام شيء آخر
ومن يقول بانهما معاً مترادفان . فلقد سبقت كلمة الله تعالى أن من لم يأت بالأفعال
القويمة والاعمال الصالحة النافعة فقد باء بغضب من الله . جزاؤه في الدنيا
الذلة والمسكنة وفي الآخرة عذاب عظيم

قرر علماء النفس كما أسلفنا أن الإيمان يستتبع ظهور آثاره على الجوارح
وقد سبق لنا ذكر كثير من الأفعال التي سبقناها لترى منها أن دعوى اليقين
بالشيء اذا لم تقرن بالاعتقاد الظاهر وعمل الجوارح كانت دعوى كاذبة لا
يصدقها عاقل ولا يقبلها مفكر . وفي القرآن من الشواهد لذلك كثير من الآيات
السكرية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم — أى بالخروج للجهاد —
ليخرجن . قل لا تقسموا . طاعة معروفة) أى حسي في الحكم على صدقكم

(١) راجع السور الآتية : الرعد وشورى والمائدة والفتح وإبراهيم والحج
وبنوس والبقرة والطلاق وآل عمران والنساء والشعراء والتور والسجدة والحجامة
(٢) البقرة والمائدة والكهف ومريم وطه والقصص وسبا

و مبلغ يقينكم وإيمانكم طاعة معروفة ظاهرة الاثر تنطق بما أضمرت نفوسكم
وكسبت قلوبكم - ولهذا ختمها بقوله (ان الله خبير بما تعملون)

بسط الله لنا في كتابه الكريم آيات المنافقين وأرانا أن ممن يزعمون أنهم
مؤمنون قومًا فاكين كاذبين غير صادقين. فمن ذلك قوله تعالى في التعريض بهم
والإيحاء الى خصائصهم وميزاتهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم
لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)
ومعنى هذا أن من الدعاوى الباطلة والافك المبين أن يقول الانسان أنا من
المؤمنين وقد طفع صدره بالشبه والشكوك. ومن الكذب الصراح أن يدعى
الشخص الايمان وقد ملك الشح مجامع قلبه وقبض البخيل يديه فلا يكاد
يجود في سبيل الحق والعلم والنور والهدى والعزة بشئ من ماله أو عمله.

كذلك دأب أهل هذا العصر يزعمون أنهم مسلمون. ولو أنهم
صدقوا في زعمهم هذا لأبصروا كيف تنخطف بلادهم من كل جانب وكيف
يسامون الخسف والعذاب الاليم في جميع أطراف الارض. ولو أنهم صدقوا
في زعمهم لأدركوا أن الاسلام كادي يمتدح من الارض عزه وسلطانه. وانه قد
تنقضت صروحه وأركانها. وذل بين الامم أمرؤه وأساطينه. ولو أنهم صدقوا
في زعمهم لعقدوا الخناصر على اسعاد دولتهم العلية حامية حتى الاسلام والدافعة
عن بيضته شرور الكائدين له المتربصين به الدوائر ولا استجابوا لها يوم دعيتهم
الى مظاهرتها على تكوين أساطيل قوية مصنجة تامة السلاح تدرأ بها أعداء
الاسلام عن بيوت الله المقدسة وتقر بها أعين المسلمين في هذا الجليل بعد أن
أصبحوا تنتهب حقوقهم انتهابا وتردري جامعهم ازدراء. ولتأمو المعونتها
بما ملكت أيديهم من المال وبما بين جنوبهم من الارواح.

أمر أمير المؤمنين بجمع الصدقات والاعطية في سبيل الله. سبيل الحق
سبيل العزة. سبيل سلامة الجامعة الاسلاميه. سبيل حماية الدين الخفيف دون
كيد الكائدين ومكر الخائنين. فماذا قدم له مسلمو مصر والجزائر وتونس
ومراكش وفارس من المعونات وهو الخليفة الذي تجب طاعته ما أقام الحق
ونصب موازين القسط؟ ماذا عملوا وعليهم من زكاة أموالهم وصدقات
فطرهم ما لو جمع عشر معشاره لجعل الدولة العلية دولة الخلافة الاسلامية أشد
الدول بأسا. وأعظمها قدرا. وأنبها شأنا. وأرفعها ذكرا؟

يدعون أنهم مؤمنون حتى اذا دعوا الى الاعمال القويمة التي لا تبقى
أمة الا باقامتها ازوروا وتراجعوا ثم استعصوا وتقايسوا كأنما يساقون الى
الموت وهم ينظرون.

يشكون الجمل وأيديهم شادوه. ويتضرجون من الذلة التي أصابتهم
وبأعمالهم السيئة طوقوها. ويتمنون العزة ولا ينفقون في سبيلها نفيرا ولا قتيلًا.
ويسبون الدهر وما الدهر الا قلوبهم الضعيفة. وإيمانهم الواهن. وتخاذلهم وقد
تناصر أعداؤهم. وتفرقهم اذ تجمع محاربوهم.

يريدون أن يبقوا خلفاء في الارض وقد تركوا أموالهم نهبا للمرابين.
وحمام مستباحا للغاصبين وأسواقهم معرضا لما يصنعه غيرهم من الامم
ومداركهم خالية الا من قشور العلوم مشفوعة برذائل الاخلاق والاحباط
الآداب.

ان الله لم يعد أمثال هؤلاء أن يكونوا خلفاء في الارض وانما (وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمسيكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم

أما (١) وكيف لا تنزل المظالم وتتصبب الأهوال على من لم ينهضوا إلى العقول فيثقفوها. وإلى الأموال فيستثمروها. وإلى الصنائع فيجيدوها. وإلى الأساطيل فيكثروها. وإلى المصانع فيقيموها. وإلى المصارف فيؤسسوها. أم كيف لا يحيق الصغار والهوان بمن إذا الاجنبي لم يقرضهم أفلسوا. وإذا لم يطعمهم خفست بطونهم جوعا. وإذا لم يسقمهم تقطعت رقابهم عطشا. وإذا لم يبيعهم مصنوعاته فقدوا آنية الكل والشر. واحتاجوا من اللباس ما يستر أبدانهم ويقيها حر الصيف وقر الشتاء؟

إلا أن الله تعالى قد قضت سنته في خلقته أنه (من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) (٢) وأما أولئك الذين عطلوا الأعمال النافعة الصالحة وأضاعوا مواهب الله تعالى في اللهو واللعب والباطل فلا مفر لهم من ظلم يذهب بعزمهم. وهضم يأتي على قرارهم. وخوف ينزع قلوبهم من صدورهم. ويمكن أعداءهم من رقابهم. ولا أخل المستمعين لما أتوا به الآن الموقنين بتلك العقبي التي طالما حذروها. فها نحن أولاء ننظر إلى ما يفعلن بالمؤمنين وما يكاد لهم في مراکش وفي تونس والجزائر ومصر وكريت وبلاد الدولة العلية صامها الله وأدامها. وهل ما نحن فيه من العذاب الاليم إلا وعيد الله تعالى وإنذاره لنا في كتابه الكريم اذ قال (والذين يكنزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وقال عز شأنه (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم وما أولئك بالمؤمنين. وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون: وإن يكن لهم الحق يأتوا

إليه مذعنين: أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله. بل أولئك هم الظالمون) فانظر كيف نفى الله تعالى الإيمان في هذه الآية عمن يؤمنون بالسنتهم ويعلمون طاعتهم لله ورسوله حتى إذا جاء ميقات العمل تولوا عنه وهم معرضون فلا يرضون حكم الله فيهم إلا إذا استيقنوا النجح وعلموا أنهم بالغوا حاجتهم.

ويظهر أن المسلمين في الأجيال الماضية التي جهلت فيها اللغة العربية لغة القرآن الكريم وطمست فيها آثار أسرارها لم يدركوا معنى عمل الصالحات فظنوها التزام أركان المساجد وسرداسم الله تعالى أو بعض آيات القرآن على السبحة دون تفكير فيها ولا تدبر لمعانيها. ظنوا الأعمال الصالحة تجريد الأرجل عن الجوارب والطرايش من الأهداب «الازرار» ظنوا الأعمال الصالحة رواية الأحاديث المنفرة من الدنيا وزخرفها الخاضعة على الانقطاع للآخرة بالمعروف في عتق الدور وبالتزام بزيارة القبور. ظنوا الأعمال الصالحة ألا يأخذ المسلم الربا مع بذله للمرايين. وألا يبيع الخمر وأن بات في المدمنين. ظنوا الأعمال الصالحة الأكباب على تجديدها ما أبلاه كرو الزمان من خرافات الأولين. وبدع المبتدعين معرضين عن كتاب الله الذي هو المعجزة الخالدة والناموس القويم ظنوا الأعمال الصالحة أن يسمع المسلم الشبهات ترد على دينه فلا يهتز لدفعها ويرى الظالمين يحاربون شريعة رسوله فيقول أن لها ربا يحميها.

زعموا جميع ذلك فأصبحوا مشلا في الشقاء وغرضا لسهام الاضمحلال والفناء. وإن شئت فانظر ببصرك إلى جزائر بحر الروم «البحر الأبيض المتوسط» وسواحلها الأفريقية والأروبية ثم أخبرني أين ذهب المسلمون وقد كانوا هناك أيام بني أمية وبني العباس يملأون السهول والجبال ويتصرفون

في الامور والاحكام معدودين فيها بعشرات الملايين . اقتف آثارهم في اسبانيا وميورقة ومنورقة وصقلية وجنوب ايطاليا وجزائر اليونان فهل ترى لهم من باقية . اذهب الى بلاد الجزائر التي تحكمها اليوم فرنسا فانظر كيف انقلبت المساجد كنائس وكيف قامت الصليبان على أضرحة الاولياء وكيف نزع المسلمون عن المدن العظمى الى الجبال وقد رأوا من قوة الامة الفاتحة وبأسها ما لا قبل لهم به ولا طاقة لهم على مكافحته .

تدبر ذلك قليلا تفهم معنى عمل الصالحات الذي أمر الله به المؤمنين ورتب عليه سلامة الأهل والأولاد وصيافته . فان كنت لا تزال تخدعك بروق الآمال . ويقعدك عن طلب المجد الشح بالمال . والخوف على العيال . فسيخلو منك وطنك ولو أقيمت به القرون الطوال وليصيبك من الفناء والزوال ما أصاب تلك الاجيال . تلك سنة الله التي لا تتبدل وكلمته التي لا تتغير (قل ان كان آباؤكم أبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمترصوا حتى يأتي الله بأمره ان الله عزيز ذو انتقام)

وليعلم أن للعاملين سبيلين فكل عمل نافع فهو سبيل الله الذي يجب الجهاد فيه كالعلم والتربية والتجارة والصناعة والارشاد والبر بالوالدين والضعفاء والرفق بالحيوان وهكذا (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

وأما سبيل الشيطان فكل طريق معوج غير قويم وكل عمل ضار كاختداد ما تقدم وكالشح على الخير والبذل في اللعب والهوى والتمار وهكذا من ضروب التفساد والآثام .

ولقد وعد الله المؤمنين اذا أخلصوا لله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أن يكون لهم الامن وأن يكونوا من المهتدين فلا يزعمهم استضعاف أنفسهم ويخلع قلوبهم بأس أعدائهم ولا تنصرف هدايتهم الى الخير عن سواء السبيل . أما الذين مزجوا الايمان بالظلم فأمست ألسنتهم ثم جحدت قلوبهم ولا أنت كلمتهم ثم قست أفئدتهم فقد كتب الله عليهم الخوف الدائم حتى لا تهتأ لهم نفس ولا يطمئن لهم بال . كذلك كتب عليهم الحيرة والتهيه فهم لا يجدون سبيلهم الى الحق . ذلك بما كسبت أيديهم وقست قلوبهم وغلظت أكبادهم . ولو أن الايمان وحده يكفي في ارغاد عيش المؤمنين وطمانينة بالهمس وتمتعهم براحة القلب والامن لما اعتد الله سعادتهم بسلامتهم من الظلم الذي يفسد على العالم أمورهم ويصير العامر من الارض غامراً قفراً (سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً) . هذا ولنرجع بك الى الوجه في تأويل الجنات التي وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنقول

يتصفح الانسان جميع كتب التفسير في هذا الباب فيجدها تقصر هذا الجزء الذي شرع الله به المؤمنين على ما عسى أن يكون يوم القيامة من البساتين والرياض التي أعدت للمعتقين ولم يذهب أحد منهم الى تجويز أن يكون المراد منها ما يشمل جنات الدنيا ولعل سبب ذلك أن الجنة والجنات تنصرف في لسان الشرع الى دار الخلد الآخروية .

ولكنهم فيما أرى لم ينصفوا اللغة — ولا اصطلاح القرآن الكريم . فأما اللغة فالجنة معناها البستان ذو الاشجار المتنفة والجنات الكثيرة وأما اصطلاح القرآن فان القرآن أطلق الجنات على البساتين الدنيوية وتارة أخرى على الآخروية منها .

فن الاول قوله تعالى (١) (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حته يوم حصاده ولا تسرفوا ان الله لا يحب المرففين).

وقوله تعالى (٢) (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه).

وقال (٣) (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكولون. وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وجنات فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم).

وقال (٤) (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد).

وقال (٥) على لسان سيدنا نوح (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا).

وقال (٦) (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون).

وقال (٧) (فأخرجناهم أي فرعون وقومه من جنات وعيون وكوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين).

(١) سورة الانعام (٢) سورة الانعام ايضا (٣) سورة يس (٤) سورة ق (٥) سورة نوح (٦) سورة المؤمنین (٧) سورة الشعراء

وقال (٨) (كم تركوا أي فرعون وقومه من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين).

وقال (٩) (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا).

وقال (١٠) (أو تكون له جنة يأكل منها).

وقال (١١) (فلننايا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظأ فيها ولا تصحى) قال أبو مسلم الاصفهاني في جملة غيره من المفسرين ان جنة آدم كانت أحد بساتين الأرض التي نحن فيها.

وقال (١٢) (كما أخرج أبويعقوب من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتتهما) يعني آدم وحواء وقد علمنا من الآية التي قبلها رأي أبي مسلم وغيره وقال (١٣) (كلتا الجنةين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا. وجننا خلاهما نهرا وكان له ثمر).

وقال (١٤) (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال. كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناكم بما كفرتم واهل نجاى إلا الكفور).

فأنت ترى من هذه الآيات الكريمة كيف استعمل القرآن الكريم كلمة الجنة والجنات في معناها المعروف لغة دور وهو البساتين الدنيوية فليس هذه الالفاظ في عرف الكتاب الكريم مقصورة على ما أعد الله في

(٨) سورة الدخان (٩) سورة اسرائيل (١٠) سورة الفرقان (١١) سورة طه (١٢) سورة الاعراف (١٣) سورة الكهف (١٤) سورة سبأ

الدار الآخرة لعباده الصالحين . بل هو تارة يريد منها بسايتين الدنيا وتارة بسايتين الآخرة وإذا لم تتم قرينته تتفاضل لبين هذا أو ذاك فقصر الالتفات على أحدهما تحكيم واعتساف .

ومن هذا القبيل هذه الآية التي نحن بصدد شرحها وبيان أسرارها وهي قوله تعالى

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون .

ذكر المفسرون كافة أن المراد بالجنات هنا جنات الآخرة وكذلك قولهم في أشباه هذه الآية الكريمة . ولقد أفرطوا في ذكر أوصاف الآخرة خيرها وشرها وأغفلوا أمر الدنيا وما ابتلى الله فيها الخلائق . أغفلوا أمر الدنيا وما يصيب الإنسان فيها من صنوف الخير جزاء على أعماله الصالحات ومن أنواع الشر عقاباً له على ما اجتراح من السيئات . ولو أنهم تدبروا سنة الله في خلقته ودرسوا تواريخ الأمم الخالية والأمم الحاضرة وفتحوا للبحث والتنقيب أبصارهم لرأوا كيف يجعل الله للمحسنين من أنواع البر وصنوف الرضوان ما يكاد يعجز عن وصفه الإنسان .

تقدم لنا أن المراد بعمل الصالحات أن يأتي الإنسان بالأعمال القويمة النعافة له باعتباره فرداً ولا أمته التي يعزى إليها باعتباره عضواً منها فيشمل ذلك الفنون والصنائع وتشبيد المدارس وإقامة المصانع وتأليف الجمعيات الخيرية والمعاهد الاقتصادية كما يشمل الهجرة في طلب العلم وفي نشر التعاليم والرسوم الإسلامية . ومن جلائل الأعمال الصالحة إقامة الرباط في الثغور لدفع العدو

عن البلاد وصنع الاساطيل الحربية لاعلاء كلمة الدين وتأيد شوكة المسلمين وهكذا مما حواه كتاب الله تعالى من النصيح المبين والرأى المتين

فلو أن المسلمين أقاموا القرآن واتبعوا النور الذي أنزل معه وعملوا الصالحات التي دعا إليها وحث عليها لأصابهم الخير من كل جانب ولما كانت لهم جنات لا تفتأ الأنهار تجري من تحت أشجارها متخللة أياها حتى لا يصيبها ظمأ يذوي غصونها ويذبل أوراقها ويخفف ثمارها وحتى تكون الأشجار والبساتين وأن كانت أجهل شيء وآفته جديرة أن تبيع النفوس وتجلب لها الريح والانتعاش ولو أنهم أقاموا العدل ونشروا العلم واشتغلوا بتوليد النباتات وتنويعها لرزقوا من ثمارها صنوفاً متشابهة متقاربة لولا تخالف طعمها لاشتبه أمرها على آكلها وقالوا كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا هذا الذي رزقنا من قبل . ذلك لأنهم أتوا به متشابهاً . يفقه ذلك جسد الفقه من درسوا أحوال النبات وشهدوا ما يفعله العلماء انقطاعاً في البلاد الغزير علمها الرفيعة كتبها التي صانها الله من المظالم وغسل عنها يد كل ظالم فأسبغ الله عليها نعمته ووفر فيها أسباب الرفه والنعيم والعزة والبهاء

يعد الله المؤمنين إذا أوفوا بعهده الله وميثاقه استمرار هذا النعيم وطول الاستمتاع به وأنهم إذا أخذوا بأسباب العزة والشوكة ولم يقصروا في تحصيل ما يوفر لهم الراحة والهناء كانوا خلقين أن ينالوا تلك الجنان وأن يرزقوا فيها أزواجاً مطهرة من الفحش والخنا واللغو والبذاءة . نقيّة من القذى والاذى وقبيح الصورة واعوجاج الاخلاق

ومن شاء أن يرى من التاريخ أسنة ناطقة بصدق ما قلناه فليقرأ كيف كان شأن المسلمين في الصدر الاول من الاسلام أيام خرج العرب من واد

غير ذى زرع عند بيت الله المحرم داعية الى الله ورسوله مقيمين تكاليف القرآن متبعين نصابه مكينين على الاعمال الصالحات القويمة فلم يدعوا علما الا درسوه ولا سلاحا الا استكملوه ولا فنا الا زاولوه ولا صناعة الا اجادوها . ولا حرفة الا اتقنوها . ولا تجارة الا وسعوها . ولا أسواقا الا اقاموها . ولا بلدة الا دخلوها . ولا طريقا الا سلكوها . بذلك ذلل الله لهم الصعاب واستخلفهم في الارض فكانوا سادة الممالك وأمراءها . وأئمة الهداية ونقباءها وناشري الحضارة وزعماءها . ومحضى العلوم وعلماءها .

عاشوا في عزة وشمم وإباء فقلّت مطامع أعدائهم في بلادهم وأموالهم وبهذا ظلوا في مأمن من الغوائل والغارات واستطاعوا أن يتفرغوا للشر العلوم والمعارف والتفنن في الاختراع والابتداع والاستكثار من تنويع النباتات والحيوانات واستخراج التشابهات منها وغير التشابهات . ومن شاء أن يرى مثالا لذلك فليذهب الى الامم التي ملكت ناصية العلوم وبسطت سلطانها على الشعوب الكثيرة واعتدت وسائل الدفاع عن بيضتها والحماية لجلالها وعظمتها وأقامت سائر الاعمال الصالحات النافعة من تأليف الشركات وشق الجداول وبناء القناطر واختراع الآلات والادوات والاستزادة من معاهد الدرس ودور التنقيب والبحث وبساتين النبات ومعارض الحيوان . ثم ليعتبر بما جازاهم الله من صنوف النعيم وجميل الازهار ولذيق الثمار وجارى الانهار والزوجات النقيات المطهرة من الرذائل والاقذار .

وبعد فقد بسطنا لك هنا ما تفهم منه أن أمثال هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا ينبغي قصر ما ورد بها من أنواع الجراء على الدار الآخرة

فقط فانها تشمل كما رأيت ما يعجل الله لعباده العاملين في الدنيا كما تشمل ما أعد لهم في الآخرة .

واذا كان الله تعالى قال في أهل الكتاب (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فماذا نتوقع أن يفعل الله بالمؤمنين اذا هم أقاموا القرآن الكريم وعملوا الصالحات النافعة من الاعمال فشيّدوا دور العلم والصنائع وسنوا من القوانين والنواميس ما يطابق أسرار القرآن وروحه ثم أحسنوا القيامة عليها حتى لا تعبت بها أهواء الجبارين ولا تنقضها أنكاثا أيدي الظالمين . الا أنهم لو أقاموا القرآن والسنة النبوية في معاشهم وسياساتهم ومعادهم لأثابهم الله بما عملوا جنات تجري من تحتها الانهار متشابهة أثمارها نقية أزواجهم فيها .

قصر انفسرون الجنات على ما اعتد الله للمؤمنين في الآخرة فظن الجاهلون من المسلمين أنه لا تمجيد في الدنيا لمشوبات أعمالهم ومساعدتهم فانصرفت نفوسهم عن توقع حصول شئ من ذلك في هذه الدار . ولما كانت أدور الآخرة غيبة مخضة ولا سبيل لمعرفة الا طريق السمع كان جهل أكثرهم بها وارتياحهم في تعرف حقائقها وكنهها مدعاة الى عدم الاهتمام بالاعمال الصالحة الموصلة اليها فان النفوس البشرية في نيل العاجلة أرغب والى تحصيل متاع الدنيا وزخرفها أميل . وكثير من مؤمني هذا العصر من قد ملأ الشك في شؤون الآخرة نفوسهم وأعمى بصائرهم فتراهم لا يكادون يوقنون بشئ منها مع زعمهم أنهم بكتاب الله مؤمنون ورسوله الأمين مصدقون ولو أنهم علموا أن الله يرحي بعض جزائه لعباده العاملين . وأنه قد يعجل شيئا منها في الدنيا لتولد في نفوسهم الاتعاش وحب العمل على ان المتبع لما تجرى به

الاقدار في الدنيا يرى رأى العين أن كثيراً من أفعال العباد يعجل الله لهم جزاءها فيعاقبهم أو يشيخهم عليها في هذه الحياة الدنيا . من هنا كان حقاً على من يتناولون كتاب الله بالتفسير أن يفهموا العالم أن الله في هذه الدنيا من جنات النعيم والعذاب الاليم ما لو تدبر وفكر فيه الناس قليلاً لاندفع المصلحون الى العمل الصالح ولقر المجرمون من الكبائر والتبائح . ولو أن منسرى القرآن الكريم قديماً وحديثاً تدبروا شؤون العالم الاسلامي وتركوا كتاب الله يفهم منه ما تؤديه عبارته لما تخرجت العقول وقست القلوب ولكنا على قدم الصدر الاول في اعماله وأخلاقه ومقاصد ويقتضيه وسلمنا من هذا الضعف الذي تمكن من نفوسنا فأصبحنا مضغة لآكسين ومثلاً في العالمين .

يقراء المسلمون قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) فيقولون ان هذا خطاب لقوم داود عليه السلام . واذا تلى عليهم قوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) قالوا ان المعنى بذلك أحبار اليهود أو قساوسة النصارى . ولكن المتدبرين لحكمة الله وسننه في خلقه يوقنون أن الله لا يورث هذه الارض الا الصالحين لعمارتها وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمسارعون في الخيرات ومن شاء أن يرى من آيات الله الظاهرة وأدلتها الناطقة بصدق ما قلنا فعليه أن يجول بفكره جولة سريعة كي تتمثل له الامم النابتة القاهرة اليوم . وكيف أورثها الله أرضه وممكنها من التصرف في الكائنات الجوية والسموية وكيف أظهرها مع جمودها وألحادها على الذين يزعمون أنهم مسلمون على كثرة عديدهم وقدم وجودهم

التعازير الشرعية والتعازير الوضعية

﴿ لو اتبع المسلمون أحكام دينهم لاستقام أمرهم ﴾

يتوهم الناس في الديار المصرية وكثير من بلاد الشرق أن الامم الاوربية ما سعدت وعظم شأنها وقوى سلطانها الا بما وضعت لنفسها من القوانين وما رسمته من ضروب النظام الداخلي في سبيل سياسة رعاياها وعامة أفرادها . ولقد كبر هذا الوهم في نفوسهم حتى جعلوا يتخيلون أن الشريعة الاسلامية ونواميسها وأحكامها الفرعية التي طالما رفعت منار الأخذ بها من الامم السانقة لا تصلح اليوم لسياسة الامم الاسلامية ولا تناسب روح المنظمات المدنية الحاضرة

جهلوا تاريخ آبائهم الاولين كما جهلوا روح الشريعة الاسلامية وأسرارها فساءت ظنونهم وخبت ميولهم وشهواتهم وكانوا لاعداء دينهم أعواناً عليه . وكيف نعجب من مصير هؤلاء أو نستغرب ما تقترفه أيديهم وتكسبه قلوبهم من محاربة تعاليم ذلك الدين الخفيف وقد نشأوا في حجو رغير المسلمات ثم تلمذوا لغير المسلمين ثم لا تكاد يجد لهم صديقاً مؤمناً ولا رفيقاً مؤحداً لا يكاد يبلغ علمهم بالقرآن الكريم وسنة الرسول الصحيحة وسيرته السياسية والاخلاقية عشر معشار علمهم بالقانون الروماني ومناقب فولتير وجان جاك روسو وأشباههم بل ان من المسلمين اليوم من لا يعلم عن القرآن والاسلام الا بعض ما يقرأه في الكتب الفرنجية

ولطالما سمعنا بعضهم يروى بعض عبارات زاعماً أنها من كتاب الله تعالى وهي ليست منه في شيء وانما رآها لبعض كتاب الفرنجة فرواها عنهم

كما يرويها الجاهل النبي أو الذي لم يعرف من قواعد الاسلام وتعاليمه شيئاً
ولقد تمشت روح الالحاد في بعض شبان المسلمين اليوم لاسيما النازحين
منهم الى أوربا . ولهذا البلاء الذي نزل بالاسلام أسباب عدة
(أحدها) أن كثيراً من آباء أهل هذا الجيل شديدو التساهل في أمور
دينهم فهم لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة ولا يحجون لله بيتاً ولا يشهدون
الجمعات والجماعات ولا يذكرون الله الا في مرض أو حاجة .

على أن كثيراً منهم لا يستهجن أن يشرب الخمر أمام أولاده بل لا يبالي
أن يقدم لأحدهم الكأس ملزماً إياه أن يشربها ولو على كره لها وغضاضة . ومن
المعلوم أن تساهل الناس في التكليف الشرعية وعدم الاستمسك بأسباب الذكرى
التي هي روح العبادات وسرها أساس عدم الاستقامة . وإطالنا شوهد هذا الأثر
السيء في كل قوم تمشى بينهم التكاسل عن العبادات واستحوذ عليهم الشيطان
فأنساهم ذكر الله . ولذلك جاء في الآية الكريمة عقب هذه العبارة وصفهم
بأنهم حزب الشيطان الخاسرون

(ثانيها) أن تتربى أحداث المسلمين في أحضان المربيات من الفرنجيات
اللاتي هن إمامات معصبات لدينهن وأما لا خلاق لهن من الدين أو الاخلاق
الفاضلة وكثير ما هن

يوضع الطفل في أيديهن فيغذيته بلبائن ممزوجة بما فطرن عليه من الاخلاق القبيحة
والهبات الشائنة والعقائد الزائفة فتنشأ الاطفال مفطورين على ما فطرت عليه
مرضاةهم ومربياتهم حتى اذا كبروا وشبهوا لم يكونوا بالمسلمين الحقيقيين ولا بالكفار
الظاهرين بيد أنهم يحسبون في جملة المجموعة الاسلامية وانهم في الحقيقة الاذناب

من كل أمة وواغلون في كل دين وملة مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
(ثالثها) التربية الاولى في الكتائب أو المدارس الابتدائية فانها قلما
اشتملت برامجها على ما يصاح نقوس الناشئين ويثبت أقدامهم وقلوبهم على
الحق وينير بصائرهم حتى تدرك أسرار الدين وتشرب حبه والاعتصام بحجابه
أما المدارس العالية فلا أثر للدين فيها لا علماً ولا عملاً

(رابعها) جود علماء الاسلام على الابحاث القديمة البالية واسرافهم في
رواية الخرافات الدينية التي مرجعها في الاغلب الى الاسرائيليات التي ابتدعها
أخبار اليهود الأقدمين وملؤها بهائزائهم ثم أورثوها من بعدهم جهلة المسلمين
من أهل الصدر الاول ثم تدلت الى أولئك الذين تصدوا للتفسير وهم
لا يفرقون بين التمرة والجرة ولا يميزون الخلوة من المرة ثم تناقلها الشيوخ
المنتسبون الى العلم والعلم منهم برىء . أولئك الذين ليثهم اكتفوا بتحميل
عقولهم هذياناتها وباطلها . بل نراهم كلما ضمه مجلس أخذوا يفسدون على
الناس عقائدهم وينفرون بذلك عقولهم من أصل الدين بسبب التعاليم السقيمة التي
ألقوها زوراً بالاسلام والمسلمين

(خامسها) منع الناس من جواز التفكير في كتاب الله الكريم والزبامهم
بما وضعه علماء التأويل بل علماء التحريف والتبديل حتى باعدوا بين العقول
السليمة وبين كتاب الله الكريم وقانونه القويم وصراطه المستقيم
تحتجج الشكوك بعض الصدور حتى اذا جاء صاحبها أحد الادعياء
وكشف له عنها صرخ به — يا هذا انك كافر — اخرج من هنا أيها الزنديق —
ليس بعد الكفر ذنب — وهكذا من ألفاظ السب والفحش التي يجب أن
يتحاشاها دعاة الخير وهداة الامم

ولو أنهم أشربت قلوبهم حب الاقتداء بالرسول عليه السلام في جده
ومناقشاته لما أخذوا الناس إلا بالعلم الصحيح والقضايا المسلمة ولكن من لهم
بذلك وهم أنفسهم لم يترودوا منها بالقدر الكافي ؟

لقد طالما جادلنا تلك الطائفة وسبرنا غورها فوجدنا أقلها علماً أكثرها
سفاهة. وأكثرها عبثاً وفهاة أشدها لفظاً وإبطاًها في عمل الخير أحبها في
صدور المجالس ومرافقة الكبراء والأمراء

ولما كان هؤلاء نفر على ما وصفنا للقارئ كان انتشارهم في الأرض
ومجاورتهم لعباد الله لا سيما النابتة الصغيرة منهم أضر شئً بالاسلام وأقبح
مثال للمسلمين . ولذلك كان أتم المخذين والتحيرين الضالين على أولئك
الذين جهلوا السنة وحفظوا البدع وأفسدوا على الامم الاسلامية أمر عقائدها
ونفروها من تعاليم دينها

تلك هي الاسباب التي حملت كثيراً من المسلمين في هذا الجيل على
الاستهانة بأمر دينهم والرجوع في فصل الخصومات الى الاحكام الوضعية
البشرية زاعمين أنها هي الحق المعقول والقول المقبول

ومن هنا ضل الناس ففاسوا أفعال العباد بمعيار القوانين التي وضعها
الواضعون وهم خاضعون لافعال سائرة في صدورهم طامحون الى ما رب
مخصوصة حتى اختل ميزان العدل وضاعت حقوق كثير من العباد

وإذا شئنا أن نضرب من الامثال ما يستبين به الفرق بين قيمتي الشرائع
الالهية والشرائع البشرية. فلدينا شئ كثير ولسكننا نجتزئ الآن بذكر الزواجر
التي تدخل تحت باب التعازير . ذلك أن الشريعة قد وكلت تقدير التعازير الى
الحاكم فلم تقدرها تقديراً ولم تحدها حداً لأنها تختلف باختلاف الاشخاص

والاحوال فلا يستتبع اتحاد الافعال في النوع أو الجنس توحيد نوع العقوبة
التي يراد ايقاعها على مرتكبها بل ينبغي أن يراعى في تقدير العقوبة حالة
الشخص المعاقب بها باعتبار جسمه ومنزلته في أمته على شريطة مراقبة الغرض
الذي قصدت له العقوبة وهو الزجر والردع . وعلى هذا تتنوع العقوبات
والتعازير باختلاف مرتكبها وان كانت الآثام التي وقعت واحدة في النوع
أو الجنس

مثال ذلك رجلان اعتديا على ثالث بالسب والاهانة مثلاً وكان أحدهما
من خشاش الناس والآخر من علية القوم . فإذا ما رفع المعتدى عليه أمره
الى القاضي الشرعي كان على هذا أن يفاير بين عقوبة ذلك النكس الوبش
وبين عقوبة الآخر الذي هو أرفع منه منزلة وأعرض جاهاً . وبما أن تقدير
التعازير موكل الى رأي القاضي الحاكم فلقد يفرض في هذه الحالة للأول
الحبس أو التشهير بينما هو يكتفي في الحالة الثانية بمجرد التأنيب اليسير . ولقد
يكون تأثير هذه العقوبة اليسيرة في النفس الشريفة أبلغ من تأثير الجلد في
حالة ذلك الوضع الساقط . فالتسوية شرعاً لا تعتبر في أعيان العقوبات وإنما
تراعى في مقدار آثارها في أنفس المعاقبين

ولا ينبغي أن من صنوف العقوبات الاعتقال في السجون . أما تشريع
السجن فانه لغرضين أحدهما ردع المرتكبين للآثام والعادين على حقوق سواهم
وثانيها احتباس أرباب المآثم والجرائم حتى يسلم الناس في خارج السجون من
شرورهم . فأما الغرض الاول فانه لا يمكن اصابته الا اذا كان المسجون ممن
ينفرون من السجون ويكرهون ضيقها والبقاء فيها . فإذا تعودها الشخص
بكثرته اختلافاً لها كان من العبث بل من الخطأ اعتبارها عقوبة له كلما أصاب

شيئاً من المخالفات أو الجنح أو الجنايات فمن هؤلاء السكارى والحشاشون والمتكففون الذين لا يمر عليهم شهر دون أن يحبسوا المرات العديدة . فان أمثال هؤلاء يعتبرون في الحقيقة من سكان السجون لا من سكان المنازل ؟ فكيف يعتبر السجن لا مثال هؤلاء من الروادع والزواجر وكيف يكون من التدبير المستقيم شحن السجون بأمثال هؤلاء فلو أن هؤلاء يراد بهم الصلاح لقد رت عقوبتهم تقديرًا يكون كفيلاً بردهم وزجرهم ولو كان هناك شيء من حسن السياسة لما سوى بين هؤلاء الاشرار الاوغاد وبين اشراف القوم وعلمائهم ولما جمع بين هذين الفريقين في بناء واحد

هذا فيما يتعلق بالغرض الاول المقصود من الحبس وهو الزجر والردع . أما الغرض الثاني وهو كف أذى أولئك الاشرار عن الناس في الخارج فهو حاصل لا ريب متى احتبس أولئك الاوغاد . ولكن هناك بلاء أشد من أذاهم وأخش من شرهم وذلك أنه كلما حبس فرد واحد دون أن يكون له في الخارج من يعول من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

فإذا أصيب هؤلاء المساكين اذا انتزعت السجون من بينهم عمادهم وعائلهم ؟ ومن ذا الذي يراقب الاحداث الصغار من خلقه حتى يشبوا على ما لا يضر من الاخلاق والعادات ؟ ومن ذا الذي يصون أولئك النساء ويحفظ بهن حتى يفرن كرامة أنفسهن فلا يضطررن الى التماس أقواتهن ببذل عفافهن ؟ ومن عسى ان يحییء أباه الشيخ الفاني بما بقي رفقته من القناء ويعالج به أمراض الشيخوخة التي قلما خلا جسمه منها ؟ اللهم لا شيء من ذلك فان عميد أولئك الضعفاء قد انتزع من بينهم انتزاعا ولم يبق لهم المحكمة الا آلام الامراض والاحزان

وصنوف الجوع والشقاء . اذا فماذا يتوقع أن يفعل أولئك المساكين في سبيل التماس أسباب الرزق الذي به قوام حياتهم ؟ بديهي أن المضطر يركب الصعب من الامور وهو كاره لها . فلا عجب اذا رأينا الاحداث مبتذلين والنسوة متخذات للاخذان اما في السر واما في العلن . اذا . ماذا ينتظر من بيت تضم جدرانها الخنثين من الغلمان والمرزقات بكرامتهن من النساء ؟ لقد دلت التجارب والتفتيح على أن أكثر الشرور لا تجترحها الا أيدي المرترقين بالعنف والكرامة فان هذه الرذيلة هي مجمع القبايح ومصدر سائر الشرور . فيها تكسر الافعال الممقوتة المرذولة كالسرقة والاحتيال والتزوير والسلب والقتل ونحو ذلك مما هو مشاهد في جميع من استهان بكرامة نفسه وارترق بعفته ومروءته وأراق بالنفخ ماء وجهه

فاذا فرضنا أن في السجون جميعا في مثل القنطرة المصرية عشرين ألف عائل ممن خالفهم أمثال أولئك الضعفاء فان الحكومة تكون باحتباسها ايام قد كفت عن رعاياها في الخارج اذى عشرين ألفاً واكثرها في الوقت نفسه قد أعدت للجرائم والجنايات والنفخ وسائر أنواع الشر والاذى عشرين ألف بيت لا تحتوى في الغالب أقل من ستين ألف نسمة شرها مضاعف وأذاها كبير . وهكذا كلما احتبس في السجن عماد بيت في سبيل وقاية الناس اذا خلفه في قومه عدة ممن هم عالة عليه . شرهم أكثر من شره وضرهم أبلغ من ضره

يفهم الانسان أن الشخص ربما احتبس جسمه فلا يباح له أن يخرج الى حيث يستطيع الاضرار بالناس ولكن لا يكاد أحد يفهم كيف تستبيح الحكومات استخدام المسجونين في صنع صنوف الادوات وأنواع الاثاث وورصف الشوارع واقامة الضروح وحرق الارض وتعهد الزرع بما يصلحه

ماذا يراد بالازهر

(١)

يعلم القراء ماجرى للأزهر في عهده الأخير من الاختلال وفساد الأحوال كما يذكرون هبوب طلابه للمطالبة باصلاحه والجهربقت تلك الفوضى التي أضاعت كرامة الأزهر ونقصت من قيمة أهله وأفضت بكثير منهم الى الجهل والخلول

نشر الأزهريون منذ عامين مطالبهم في الصحف وقدموها الى دوائر الاختصاص ولقد أضربوا عن الدراسة حتى تجاب تلك المطالب فألفت اللجان للبحث فيها متعاقبة ولكنها على شدة ما بحثت ونقبت وعلى كثرة ما وضعت من المشروعات والمقترحات لم تأت في سبيل اصلاح الأزهر بعمل نافع ولا برأى سديد . وما زال الامر كذلك حتى كان عهد عطوفة سعيد باشا برياسة النظار اذ أخذ على نفسه العهد أن يمعن في النظر في شكايات الطلبة الأزهرين وأن يرجع الى الأزهر رونقه وبهاءه القديم . هنالك استبشرنا بظالعه وظننا أن الأزهر سينال في عهده من النظام والادارة ما يجعله في مصاف الجامعات الكبرى في العوالم المتحضرة وتوقعنا أن سيكون فيه من المعارف ما يشفي الامم الاسلامية من أمراض الجهالة ويبل ظمأ أولئك الملايين المتعطشين للعرفان ونور العلوم ولكن ماذا جرى بعد تلك النظرة الطويلة التي استغرقت عدة شهور ؟

ألفت لجنة من رجال الحكومة ومفكريها ثم طفقوا ينقبون ويقررون

الى نحو ذلك مما يعود على الحكومة بالمسال الغزير دون أن تعطى أولئك العاملين أجورهم لينفقوا منها على من خلفهم من الاحداث والنساء والضعفاء من الآباء والاقرباء فان من المقرر ان عمل العامل رأس ماله فهو الذي يملكه دون سواه فاذا حبست الحكومة صانعاً لم يكن لها أن تملك عمله الذي هو رأس ماله كما أنه ليس لها أن تنصرف فيما يملك من عقار وأثاث وحيوان . فان هذا من المصادرات التي لا يجزها العقل السليم ولا الشرع الخفيف ومن هنا لا يكاد يجحد الانسان ما يسوغ للحكومات أن تعامل مسجونها بذلك النظم فتصادرهم في رؤوس أموالهم بتلك السياسة التي لا تنطبق على القواعد الاجتماعية المعقولة . ولو أن الحكومات الاسلامية تبني أمثال تلك المعاملات على قواعد الشرع الشريف لما جرت على بلادها وتفسها من التفساد أكثر مما وقتها . ولما عرضت الضعفاء للحاجة الفتاكة وحجاب العفاف للتمزق وأخلاق الناشئين للفساد . ولا استطاعت أن تدخر للصانع المسجون من كسب يده ما عسى أن يجده يوم ينتهي زمن سجنه فيلتمس بواسطته عيشة طيبة تصون يده عن الحرام ونفسه عن تبييت الشر وايقال الاذى الى الغير وخلاصة القول أن كل نظام يقتضى مصادرة المسجون في رأس ماله الذي هو عمله وترك من كان يعملهم عرضة لفشكات الجوع وسورة الآلام والامراض ليس من الحكمة في شيء وانما هو كمن يرفع خرقة ويمزق خرقة ويكلف شرا ويخلق بذلك شروراً . فعلى من يريد الاصلاح حقيقة أن يحفظ للمسجون ثمرة عمله ونتيجة كسب يده اذا لم يكن له من عالة في الخارج فان كان خلفه نفر ممن يعملون اتفق عليهم منها حتى تصان أعراضهم ولا تفسد بالحاجة والفقر أخلاقهم وهنالك يكفي الناس شرهم فلا يعود على أحد شيء من أذاهم

ويضعون وينسخون حتى انتهوا الى خلاصة فصاحة إبحاثهم فدونها في تلك الكراسة التي سموها (مشروع قانون الجامعة الأزهرية) يتصفح الباحث تلك الكراسة حتى يأتي على آخرها فيعجبه ما جاء فيها من العناوين والالفاظ والمواد والابواب ولكن نظرة منه الى ما انطوى تحتها تمكنه من الحكم بان وجود هذا المشروع ليس خيراً من عدمه وان الأزهر اذا سار على مقتضاه فانه سيكون كما كان ميدانا لا يجوز فيه قصب السبق الاشد الشيوخ ملقا وأكثرهم عكوفاً على أبواب القصور وحرصاً على الرواتب وكساوى التشریف

لهذا حق علينا أن نتناول هذا المشروع بدقيق البحث مظهرين ما فيه من المثالب ومواضع الضعف وان كنا على يقين من أن مجلس النظر سيقدره كما هو دون تغيير ولا تبديل

بيد أن رجاءنا أن يلتفت رجال الشورى الى ما سنسرده من أوجه النقد حتى لا يجازفوا فيقرؤه الا بعد أن يدخل فيه من التعديلات ما يجعله كفيلاً باصلاح الأزهر وتوابعه التي تضم بين جدرانها عشرات الالوف من الطلاب فنقول

(١) يحتوي مشروع الجامعة الأزهرية على فصل في الادارة العامة وخلاصته أن يكون للجامعة الأزهرية مجلسان أحدهما يسمى مجلس الأزهر الاعلى وثانيها يدعى بمجلس الادارة رئيسهما شيخ الأزهر وهناك تفصيلات لا يهمل الناقد أمرها فلنقتصر هنا على ما عن لنا فيها من الملاحظات

يعلم الناس قاطبة أن أول مطالب الأزهريين يوم هبوا للمطالبة باصلاح شؤونهم كان تحويلهم حق انتخاب أعضاء مجلس الادارة والمجلس الاعلى

وشيخ الأزهر لنفسه وقد رماه بعض الناس اذ ذاك بشيء من الافراط والفساد في مطلبهم ولكن الحقيقة ان الأزهريين قد علمتهم تجارب السنين العديدة أن ارسال العنان للأفراد في تدبير أزهرهم قد أسفر عن نظمات سقيمة وتنتائج وخيمة

ظل الأزهر السنين الكثيرة تتعاقب عليه الشيوخ فما كانوا يسرون في تدبيره وسياسته الا طبقاً لأهواء نفر لا يمكن الاعتماد عليهم ولا يجوز الاخذ بأقوالهم في نظام أمثال هذا المعهد واصلاحها

ظل الأزهر السنين العديدة خاوياً خالياً من العلوم النافعة العصرية التي سبقتنا الامم الاخرى بدراستها واستقصاء مسائلها حتى أصبح الأزهر وهو في القرن العشرين معرضاً يمثل لزاثيره كيف يكون الخمول والجود وان طلابه وعلماءه كأنما هم في معزل عن العوالم الحاضرة لا يعرفون من أمرهم الا القليل ولا يحسون بما أصاب غيرهم من التغير والرقى المادى والمعنوى ظل الأزهر السنين العديدة محروماً من النظام في دروسه وادارته جامداً على تداول كتب أبلاها الزمان حتى أصبحت غير صالحة لرجال هذا الجيل وزاد الطين بلة ما أضيف اليها من الحواشى وحواشى الحواشى التي تستنفد أعمار الطلاب وقلمها حصلوا منها على شيء ذى بال

كذلك عاش الأزهر السنين الطوال وكذلك كان أهله فلما أذن الله لهم بالاستيقاظ من ذلك السبات العميق كان حقاً على واضعى المشروع من رجال الحكومة أن يأخذوا بأيديهم وأن يضعوا لهم من النظام ما يضمن لهم

مجاراة غيرهم طلاب العلم في المعاهد الاخرى كان حقاً على واضعى المشروع أن يجعلوا انتخاب تلك المجالس الادارية

في أيدي الأزهريين لا لأن القصد محاربة زيد أو الخروج عن طاعة عمرو ولكن الأزهريين يعلمون دون سواهم مقادير رجالهم ومبالغ قدرتهم على العمل كما يعرفون دون سواهم قيمتهم العلمية وزنة عقولهم في الأمور الإدارية. يعلم الناس مقدار ضعف قلوب كثير من شيوخ الأزهر وفرط استسلامهم لشارة من كبير أو فرد قدير كذلك دلت التجارب والمشاهدات في غابر السنين وكذلك شاهدنا منهم أفراداً حيناً هموا بالاستمسك بحقوقهم وأرادوا النهوض بالأزهر نهوضاً حقيقياً غضب عليهم فأخرجوا من دار المشيخة إلى منازلهم فالتزموها وحرم الدرس الديني ومعاينته من اصلاحتهم وسديد آرائهم.

جرى جميع ذلك وواضعو هذا المشروع أحياء يرزقون ورجال يفقهون إذا لم يكن حقاً عليهم أن يضعوا من القيود والشرائط وضروب النظام ما يحول بين الأزهر وبين إطلاق العنان فيه لتمرّد بعد أن أرتهم الحوادث مغبة هذا المعهد في السنين الماضية وبعد أن رأوا بأعينهم طلاباً ينشدون الاصلاح فيها نون ويستزيدون من العلوم والمعارف فيجرحون ويعلنون أمرهم للرأى العام فيقال انهم أغرار مفتونون ومجرمون خارجون ارجعوا إلى أنفسكم أيها الواضعون لهذا المشروع فساووها بعد استحلافها بمن تعتقدون ما معنى المادة ٢٢ من ذلك المشروع التي نصها:

« واتخاب وتعين شيخ الجامع الأزهر منوطان بنا وبأمر منا وتعيين مشايخ المذاهب بالأزهر ومشايخ المعاهد الأخرى والوكلاء وأعضاء مجالس الإدارة العلماء يكون بإرادة سنّية بناء على طلب شيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس مجلس الأزهر الأعلى

ومدة العضوية في مجالس الإدارة سنتان ويجوز إعادة تعيين الأعضاء أنفسهم» كأنني بك حيناً وضعت هذه المادة قد تخيلتم ان الأزهريين بطمحوون إلى الخروج على أميرهم وإلى الاستبداد بتدبير شؤون أنفسهم حتى أتيتهم بما نص تعين شيخ الجامع ومجالس الإدارة على مجرد محض إرادة سمو الأمير ولو أنكم أنصفتهم سمو الأمير وأهل الأزهر جميعاً لأدرتكم ان الامراء في أممهم كالتيجان على الرؤوس فهم حلية الامم وزينتها وما مكانهم منها الا مكان الرؤوس المدبرة والاعضاء العاملة.

حاشا أن نكون من يسيء الظن بأمر هذا البلد ومقاصده الخيرية لهذا المعهد ولكننا نقول أن ليس لسموه من الوقت ما يكفي للنظر في مصالحه فكيف اذا يستطيع أن يدبر هذا المعهد وهو لا يعلم منه الا ما يجيئه من طريق فرد أو أفراد لا هم لهم سوى ميول وشهوات لا تنطبق على المصلحة العامة ولا تؤدي إلى شيء من الاصلاح المنشود. اذا كان على واضعي المشروع أن يفقهوا هذا المعنى وألا يثقلوا كاهل الأمير بما يجمله من التكاليف خسبه ما هو فيه مما لا يكاد يسعه وقته. ولو أنهم فعلوا ذلك لساعدوا ذلك الأمير النظامي وخلفوا عنه مشاق النظر في الأمور الصغيرة الجزئية ولجأوا بين الأزهر وبين عبث من يولونه من الافراد الذين سيكونون هم الوسطاء بين الأمير وبين طائفة من أمته تريد الاصلاح وتجاهد في سبيل العلم والنور يقرأ الانسان تلك المادة (٢٢) حتى اذا أتى على آخرها كاد يتجلى له ما يفضى إليه هذا المشروع من روح الاستبداد وترويض النفوس على الذلة والمسكنة والخنوع. ذلك أنها فضلاً عما مر عادت فجعلت لشيخ الجامع وحده دون سواه حق انتخاب مشايخ المذاهب ومشايخ المعاهد الأخرى والوكلاء

فما وضعت القوانين معقودة بالافراد فان البقاء والدوام لله وحده وما يدرينا
أن يعتزل الاستاذ مشيخة الازهر فيخلقه فيها من ليس على قدمه ولا حاز
شيئاً من شيمه وكثير ما هم

وبالاختصار فان اشتغال المشروع على تلك المادة قد هدم كل أمل في
اصلاح الازهر والانتقال به الى الدرجة التي تناسب روح العصر رقياً ونظماً
فليحذر رجال الشورى ان يقرروها اذا جازف مجلس النظار فاعتمدها على علامتها
تقدم لنا القول بان نظام ادارة الجامعة الازهرية على النحو الذي تضمنه
المشروع الجديد لا يكاد يرمي الا الى غاية واحدة هي الزاقي لسمو الامير
مع أنه حفظه الله صرح للعالم جهاراً بأنه انما يريد اصلاح الازهر وجعله في
مقدمة المدارس العظمى فكان يجب على واضعي هذا المشروع ان ينهضوا
بهذا المعهد الديني الذي هو مثابة لجميع العالم الاسلامي من أطراف الارض
جعل المشروع أمر تعيين شيخ الازهر لسمو الامير دون انتخاب
ولا اقتراع . ولقد يجوز أن يكون ذلك لو كان تشكيل مجلس الادارة
ومجلس اوقاف الازهر الاعلى وتعيين شيوخ المعاهد الفرعية ووكلائها وموظفيها
مطابقين لنظام معقول مقبول يضمن لنا سير الادارة والتدبير سيراً يقارن
ميزان العدل بين الطالكل والعلماء . وكيف يكون شيء من هذا وقد جعل
الامر كله في يد فرد واحد لا يرقب رقيباً ولا يخشى حسيباً وهو شيخ الجامع
ولقد تنجلي المرامي الخفية لواضعي هذا المشروع في عدة مقترحات
منها أن تأليف المجلس الاعلى للازهر يكون محصوراً بين سمو الامير ورئيس
النظار فلقد ورد في المادة التاسعة ما نصه :

« يؤلف مجلس الازهر الاعلى من شيخ الجامع الازهر بصنفة رئيس

وأعضاء مجالس الادارة فمن هو ذلك الشيخ الذي يعطى وهو من بنى الانسان
هذا النفوذ والسيطرة ثم يتوقع منه أن يكون قديساً يقيم موازين العدل
ويراقب الله تعالى في حقوق من جعل أمرهم بيده . ان طبيعة البشر
ونزوعهم الفطري الى الآثرة والاستبداد وحب المصلحة الذاتية والعجز عن
استفراغ الوقت في نظر شؤون الغير كل ذلك يمنع كل المنع تحويل فردهما
كان علمه وعقله امثال ذلك السلطان المطلق ولا يبيح وضع عدة آلاف من
طلاب العلم ورواد العرفان تحت رحمة رجل لا يرى من محاسب له سوى
الامير الذي لا طريق له الى علم أحوالهم وشؤونهم سوى ذلك الشيخ

وليت الامر وقف بواضعي المشروع عند هذا فلقد أرادوا أن تكون
مدة العضوية في مجالس الادارة سنتين فقط ويجوز اعادة تعيين الاعضاء
أنفسهم . ومعنى هذا كما هو ظاهر أن العضو الذي انتخب بمحض ارادة فرد
واحد يمكن ان يعاد انتخابه ثانية . وكيف يعيد شيخ الازهر انتخابه اذا لم
يكن طوع أمره ونهيه . أم كيف يبقيه في جملة أعوانه اذا وجده يومئذ
محتفظاً بحقوقه غيوراً على مصالح أمته علياً بطرق الإصلاح مستمسكاً باحقيق
الحق وابطال الباطل شديد التجافي عند أصحاب الاهواء ذوى المآرب الذاتية
ان هذه الفقرة لتجعل عضو الادارة أطوع لشيخ الازهر من بنائه
والزم له من ظله وسريماً الى الصدع بأمره وحريصاً على نيل رضاه ووجهه .
وكيف يجتمع شيء من هذا والمصاحبة العامة

ومعاذ الله أن نريد في كلامنا هذا التعريض بشخص معين فان هذا ما
لا نعينه وانما الذي نريده أن توضع القوانين بحيث تكون صالحة لكل زمان
وجيل فاذا نحن وثقنا من مثل أستاذنا الاكبر شيخ الجامع الازهر اليوم

ومن ثمانية أعضاء هم مفتى الديار المصرية . شيخ السادة المالكية . شيخ السادة الشافعية . شيخ السادة الحنابلة . مديد عموم الاوقاف المصرية . ثلاثة ممن يكونون في وجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام ادارته بشرط أن يكونوا من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامعة الازهرية ويكون تعيينهم بارادة سنية بناء على طلب رئيس مجلس النظار

وفي غياب شيخ الجامع الازهر ينوب عنه في الرياسة مفتى الديار المصرية ومنها أيضاً تجوز أن ينعقد مجلس الازهر الاعلى تحت رياسة سمو الامير كما جاء في الفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة ولو أن واضعى هذا المشروع أرادوا الخير للأزهر لا تبعوا القواعد المتبعة في البلاد الراقية وتدير جامعاتها السككية . ففي أى جامعة من جامعات أوروبا يرأس الملك أو الامير أو الامبراطور المجالس الادارية أو المجالس العلمية رياسة فعلية ؟

وهذه مصر التي يحكمها سمو الامير ينعقد فيها مجلس المعارف الاعلى واللجنة العلمية الادارية المرة بعد المرة والسكرتيرة بعد السكرتيرة دون أن تكون تحت رياسة الامير وليس في نظام نظارة معارفها ما يجيز ذلك ؟ وهل في هذا غضاظة لسمو الامير وهو رأس الحكومة جميعها ؟ وماذا يضيره أن يكون رعاياه قائمين بمساعدته في تدير سياسة بلاده دون أن يرأس مجالسها ولجان ادارتها رياسة فعلية ؟

وهل نسي واضعوا ذلك المشروع ما طلبته بعض الصحف المحلية غير مرة من ضرورة ترك الامير لرياسة مجلس النظار حتى يمكن لأعضائه أن يتناولوا المسائل السياسية بحرية تامة والا يجحدوا أمامهم من جلالة الامير وماهيته قد يحول بينهم وبين الصراحة التامة في مباحثاتهم ؟

واذا كان نظار الحكومة وبيدهم دواوين الحكومة جميعها وفي قبضتهم أزمته ومقاليدها قد يؤثر فيهم وجود الامير على رأسهم فيمنعهم من التمتع بحرية الفكر وصراحة القول الاستحياء منه والتهيب من جلال مقامه فكيف يكون شأن مجلس الازهر الاعلى اذا وجد سموه بينهم ؟

كلنا يعرف مبلغ استسلام هذه الطائفة وخنوعها خصوصاً الكبار منها . وكلنا يعلم مقدار تهيبهم المناقشة والمجادلة أمام أى موظف كبير فضلاً عن سمو الامير . ولو لا تفرق قليل بينهم عصمه الله من ذلك الضعف وأيده بروح الحق للاستقام شأن الازهر أصلاً في يوم من الايام ولا حصل منه أحد على فائدة علمية أو منفعة أدبية

٢٤٤٤

المشروع الازهري

ومدرسة القضاء الشرعى

يظهر أن تأسيس مدرسة القضاء على النحو الذى نعرفه ولا ننسأه جعلها هدفاً لسهام لا ينقطع تصويبها اليها ولا تضع فرصة يقدمها الزمن في سبيل البطش بها وتقويض أركانها . ولقد تربص بها بعض الناس الدوائر زمناً ليس بالتليل ولعلمهم خيل اليهم أن يوم تقويضها قد حم فهدوا السبيل للقضاء عليها

يذكر القراء أننا كتبنا منذ أشهر في المسئلة الازهرية وجاهرنا بوجود الحاق مدرستي القضاء الشرعى ومدرسة دار العلوم بالازهر لان

هذا المعهد يجب أن يكون مصير التربية والتعليم الى رجاله وأن يكون طلابه غير مقصورين على تعلم ما يسمونه بالعلوم الدينية . بل هو المعهد الذي يجب أن يضم بين جدرانه جميع العلوم الشرعية وغير الشرعية حتى يكون كلية جامعة بالمعنى الاعم الشامل

قلنا سابقاً أن مجالس المديرية قد أخذت تقيم المدارس في أطراف القطر المصري . ونقول اليوم أن تلك المجالس تملأ القضاء بأعمالها طالبة مدرسا أو مدرسة أو ناظراً أو ناظرة فلا تسكاد تجد طلبتها على قلة مدارسها في الوقت الحاضر فاذا لم ينظم الازهر تنظيماً معقولاً واذا لم يزد على المواد المقرر اقراؤها فيه علوم التربية والعلوم الآلية فكيف تستطيع تلك المجالس أن تجد العدد الكافي من النظائر والمعلمين الذين لا تمض الامة جميعها الا بهم . وان الاعتماد على مدرسة دار العلوم وحدها غير كاف ولا بالغ بنا تلك الغاية التي يدفعها الى طلبها الحركة العلمية الجديدة في القطر ؛

لهذا اقترحنا ولا نزال نقترح أن تدخل جميع العلوم العصرية في الازهر وأن تلحق به مدرسة المعلمين الناصرية وكذلك الشأن في مدرسة القضاء الشرعي فانه لا معنى لبقائها منعزلة عن الازهر متى أصالح مع أنها يجب أن تكون جزءاً متمماً غير منفصلة عنه لا وضعاً ولا ادارة

قلنا ذلك ولا نزال نكرره ولكننا مع هذا لا نجد مجالاً للقرار من الاعتراف بان احالة تينك المدرستين المنظميتين المسوستين بالطرق القانونية التي نعلمها على معهد ليس فيه أثر للنظام من أكبر الجنايات على العلم والادب والحكمة وكيف لاحد أن يرتضى أن تحل القوضى محل النظام أو الاغراض والاهواء محل القوانين والنواميس الدستورية

وماذا عسى أن يقول واضعو ذلك المشروع الازهرى اذا ما سألناهم عن الضمانات التي اقترحوا تقريرها في مشروعهم الكفيلة ببقاء استقلال مدرسة القضاء الشرعي وما هو الناموس الذي شرعوه ليصان به هذا المعهد العلمي الكبير

وبماذا يؤيدون مشروعهم السقيم وقد أخرجوا هذه المدرسة من أيدي كثيرة تعمل مجتمة على سعادتها ورقمها تحت مراقبة الحكومة ولوائها الى أيدي فردية وسلطة مطلقة ، مراقبة معدومة

اللهم اننا نطلب من رجال الشورى أن يحولوا بين هذه المدرسة وبين ما عرضت له من التدمير والتقويض بهذا المشروع الجديد الذي سيجر عليها من البلاء ما لا يجوز للأمة السكوت عليه

انه يجب عليهم أن يدفعوا عن هذه المدرسة الشقاء المضمر لها والا يجوزوا إلحاقها بالازهر الا اذا قام به نظام معقول يضمن للأمة سلامتها من الاختصار والاضرار . فيجب عليهم أن يطلبوا اما تعديل المادة الثالثة على النحو الذي ذكرناه واما إلغاؤها جميعها وبقاء المدرسة على ما كانت عليه وذلك نصاً :

وتكون مدرسة القضاء الشرعي قسماً من الجامعة الازهرية وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها في قانون ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٧

ويحل مجلس الازهر الاعلى محل ناظر المعارف العمومية في جميع الاختصاصات التي لها الآن بمقتضى القانون المشار به

وتتصل ميزانية المدرسة عن نظارة المعارف ويخصص لها باب مستقبل في الميزانية العامة وتجري عليها الاحكام المتعلقة بها

« ويبقى موظفو المدرسة من مستخدمي الحكومة »

تقدم لنا في الكلام في أمر إدارة الأزهر وتدير سياسته وأبنا بالدليل
القاطع والقول الساطع أن الأزهر إذا لم تتبع في تأليف مجالسه الإدارية
الطرق النظامية فقد خسر كل شيء ولو أكثر واضعوا مشروعه الجديد من
زخرف القول وحسن السبك وبديع التبويب والترتيب . فلننقل بالقراء
اليوم إلى الباب الثاني من مشروع الجامعة الأزهرية

فأما ما يراد من الطلبة أن يتعلموه طبقاً للبرنامج الجديد فأنني أرى أنه
مقدار صالح وأن توزيعه على الأقسام الثلاثة التي يتألف منها طبقات الطلبة
حسن مقبول . بيد أن الذي لاحظته أنه ينبغي تقرير دروس التاريخ الطبيعي
بدلاً من دروس الأشياء التي يرى واضعوا المشروع اقراءها طلاب القسم
الاول كما جاء في المادة السابعة والعشرين . ذلك لأن في التاريخ الطبيعي
بأقسامه الثلاثة تنويراً للبصائر وفتقاً للأذهان وجلاء للعقول لا سيما وقد
اعتيد أن يكون اقراء دروس الأشياء في المدارس النظامية مقصوراً على
الاحداث ليدركوا ماحولهم من الكائنات وما تناله أيديهم وسائر جوارحهم
من الادوات والعقاقير ودواجن الحيوانات وكذا لتنمو فيهم قوة التنبيه
والتمعن وعدم الغفلة عن اجزاء وخواص ما يحيط بهم من المواليد

ولا ينبغي أن تدريس التاريخ الطبيعي لأولئك اليافعين من تلاميذ القسم
الاول كفيل بجميع هذا على أنه مع ذلك أليق بسنهم وأوفى

ولهذا يجعل أن تستعاض دروس الأشياء بدروس في التاريخ الطبيعي
بأقسامه تكلم المشروع في أمر الامتحانات والشهادات

ومما جاء في ذلك قوله في الفقرة الثانية من المادة التاسعة عشرة « وكل

طالب لم يتقدم إلى الامتحان بغير عذر مقبول يرفق »

ومما هو جدير بالنقد أيضاً ماورد في الفقرة الثانية من المادة (٤٠)
ونصها :

« كل طالب لم يتقدم إلى الامتحان بغير عذر مقبول يطرد »

لم تبين هذه الفقرة معنى الطرد من الجامعة الأزهرية فإن أريد محو
اسمه منها محواً حتى لا يعود يقبل في امتحاناتها النهائية أو امتحانات النقل
كان هذا غير لائق بنظام الجامعات والكليات

وإن شئت شاهداً على ذلك فإن الطالب في بعض كليات أوربا قد ينتسب
إلى أحداها ويدفع مصروفات الدراسة ويشترط في صحة انتسابه إليها أن
يثبت وجوده بها مرات معدودة فإذا فعل ذلك كان حقاً له أن يشهد امتحاناتها
وإذا لم يتقدم إلى امتحان سنة سواء كان ذلك لعذر أو لغير عذر كان له أن
يتقدم له في السنة التالية أو التي بعدها

ومن شاء فليعتبر ذلك بمدرسة الحقوق الفرنسية في مصر فإن الطالب
متى التحق بها ودفع مصر وفاتها كان له أن يتقدم إلى الامتحان في باريس
في أي سنة شاء سواء في ذلك امتحان النقل وامتحان الشهادة النهائية

ولقد يسقط أحد طلاب علم التربية في كامبردج أو كسفورد أو نحوها
فيباح له شهود الامتحان ثانية وثالثة دون حرج ولا شرط حتى أنه ليباح
له ذلك ولو غادر بالفعل تلك المعاهد الدراسية اذله أن يعود إليها في أبان
الامتحانات فيجلس في زمرة طلابها

أما هذا النظام الذي جاءت به المادة (٤٠) من المشروع فإنه أشبه
بنظام الكتاتيب أو المدارس الابتدائية منه بنظام الجامعات

والذي أراه أن تعدل تلك الفقرة الثانية من المادة أربعين كما يأتي :
(كل طالب لم يتقدم للامتحان بغير عذر مقبول يحرم من مزايا المعهد
المنسب) (هو إليه ولكن يباح له أن يتقدم للامتحانات المقبلة حتي اذا
جازها سرت عليه أحكام الناجحين فينقل من قرقة الى أرقى منها أو
يعطى الشهادة التي تقدم لنيلها)

وأما اذا كن انتخف عن الامتحان لعذر مقبول اتبع في معاملة انتخف
ما جاء في المادة الثانية والاربعين المجوزة للطالب أن يمتحن الامتحانات
المنصوص عليها في تلك المادة والا يحرم اذا نجح شيئاً من مزايا المعهد
الذي هو به

جاءت المادة (٤٤) بمناصه « الامتحانات الاولى والثانوى والعالي تكون
تحريرية وشفهية ويكون الامتحان تحريرياً فقط فيما عدا ذلك »
وبمذاكرة الفصل الاول في الامتحانات من هذا المشروع نجد أن
الازهرى يمتحن فوق تلك الامتحانات الثلاثة في انصاف السنين الدراسية
وفي آخرها امتحان النقل . اذا يكون معنى هذه المادة أن الطالب يمتحن في
انصاف السنين وفي أواخرها للنقل امتحاناً تحريرياً فقط

والتأمل في هذا النظام لا يسهه الا أن يسميه بالنظام المعكوس وذلك
أن اقرر لدي علماء التربية أن يقلل في الامتحانات التي تنال بجوازها الشهادات
من الاختبارات الشفهية جهد المستطاع والسر في ذلك كما هو معلوم الحيلولة
بين الطالب وبين ما عسي أن يكون في نفوس بعض الممتحنين من الحقد على
أحدهم وقصد النكابة به فان منهم من ينهز فرصة وجوده في لجان الاختبارات
الشفوية فينتقم ما يشاء ويستقط من يشاء وكثيراً ما أرتنا التجارب كثير

من أمثال هذه الحوادث التي يأل لها الانصاف ويكي منها محبو العدل
لذلك كان الواجب ان يحال بقدر الاستطاعة بين المتقدمين لامتحانات
الشهادات وبين أن يكونوا امام الممتحنين وجها لوجه فيسهل على هؤلاء
ايقاع الشر بهم ومحاربة العدل في زنة درجاتهم . اما امتحانات انصاف السنين
وامتحانات النقل من فرقة الى أخرى فلا يبلغ خبر وجود الامتحانات
السنوية بهما بلغة في امتحانات الشهادات والذي أراه ان تكون جميع الامتحانات
باقسامها كلها تحريرية وان يؤخذ متوسط الاختبارات الشفوية اليومية فتقدر به
درجة الشفوى في امتحان انصاف السنين وامتحانات النقل ولا يجوز فيما
عدا ذلك امتحان شفوى اللهم الا اذا كان لجرد الاستئناس وفي سبيل المفاضلة
البسيطة دون ان يترتب عليها اسقاط طالب وحرمانه من الشهادة التي يشدها
متى كان ناجحاً في الاختبارات التحريرية . ويستثنى من هذا بالضرورة
مالا بد فيه من الاختبار الشفوى كعلم التربية فانه لا يمكن معرفة الطالب
الا بذلك

لعل قائلاً يقول أن المادة (٢٧) جعلت امتحان الشهادات تقيمه لجان
تؤلف لذلك وان امتحان انصاف السنين (يكون بمعرفة الاساتذة أنفسهم)
وان في هذا النظام ضمانة كافية لصيانة الطلبة من كيد الحاقدين وجور
المعتسفين ولو بقي أمرهم في أيدي أساتذتهم في امتحانات الشهادات لسهل
علينا ادراك الخطر الذي قد يقع بهم . قد يقول ذلك قليل التجربة وأما الذين يعرفون
أخلاق الامم فيرون أن مجرد الاعاز قد يدفع الممتحنين من غير الاساتذة
الى البطش بالطلاب ومن شاء فليسال طلبة مدرسة الحقوق الخديوية لاسيما
من القسم الخارجي عما يصيبهم

التي يتغيا يمد انه يجب ألا يعطى الشهادة حتى يجوز الامتحان في المواد الدراسية على النحو الآتي:

(١) طالب الشهادة الاولى يمتحن في مواد الدراسة المقررة لها في الازهر

(٢) طالب الشهادة الثانوية يجب أن يمتحن في مقرراتها وكذا فيما تقرر

للشهادة الاولى من المواد المقصورة عليها المنقطعة بتمام مدتها

(٣) طالب شهادة العالمية يمتحن في جميع المواد المقرر تدريسها في السنين

جميعها ولو كان بعضها مما ينتهي تحصيله بنيل احدى الشهادات السابقتين

يطالع الناقد لهذا المشروع على الجدول الذي وضع لبيان النهاية الكبرى

والنهاية الصغرى في درجات امتحان العلوم فيجد آية جديدة ساطعة من آيات

التحكم ووسيلة قوية من وسائل الاستعداد وذلك أن قد وجد في جملة المواد التي

لا ينجح الطالب حتى يحصل على مقدار محدود من الدرجات فيها ما يسمونه

بالسلوك فقد جعل له في الجدول نهاية صغرى مقدارها أربعون من خمسين.

فاذا لم يحصل الطالب على أربعين عد ساقطاً فلا ينقل من فرقة الى أخرى

ولا ينال شهادة ما كما هو مقتضى المادة ٥٣ من المشروع الجديد

كلام ظاهره حسن مفيد وباطنه أذني مبين ؟

أطلق واضعو المشروع كلمة سلوك اطلاقاً فلم يبينوا حدودها ولا

شرحوا معناها

ولقد اتخذ هذا الابهام في نظارة المعارف سلاحاً ذا شفرات عديدة

ينال بها أصحاب الامر والسلطان من التلاميذ نيلاً فظيماً

يستبد المعلم على التلميذ لامر ما فينحى على درجات سلوكه . وقد يرى

ولو أنهم يكتفي باختباراتهم التحريرية فقط لسلموا من البطش بهم
وايصال ما لا يحتمل من الاذى اليهم . وبالجملة يمكن القول بان الاختبارات
الشفوية في معاهد غير نظامية ليست الا أشراً كما يتصيد بها من لا يقبون
الله الاذكاء الاحرار تلبية لأهوائهم أو امتثالاً لأوامر كبرائهم فالواجب
إذاً تقرير ما اقترحنه آنفاً ولنا في كثير من كليات أوربا أحسن مثل . أما اذا
أردنا تنشئة الازهرين في الذلة والمسكنة وتمكين أيدي من لا يحبون العدل
منهم فليبق هذا المشروع كما هو الآن فانه جدير أن يتخرج به حقراء
مدهنون بل عبيد مسخرون .

تناول المشروع الكلام في قبول غير طلبة الجامعة الازهرية في الامتحان
لنيل احدى الشهادات (راجع المادة ٥٢) فانها تقضي أنه ليس لأحد أن
يطلب أي شهادة حتى يكون حائزاً لما قبلها فلا بد أن يكون طالب الشهادة
الثانوية حائزاً للاولى ولا يجوز أن يطلب شهادة العالمية الا من كان بيده
الشهادة الثانوية .

ولا يخفى أن الازهر مطروق لاءالب من جميع أطراف البلاد الاسلامية
فقد تأتيه من يستطيع بعد التحصيل القليل ان ينال شهادته الثانوية أو العالمية
وقد يجوز أن يتقدم أحد المتخرجين في مثل دار العلوم فيطلب الدخول
في امتحان شهادة العالمية . فلم يسد الباب في أوجه أمثال هؤلاء فيكلفوا
بالحصول على الشهادات التي قبلها وفيهم من الاستعداد والمقدرة ما ينيلهم
شهادة العالمية من فورهم ؟

والذي نراه أن يباح لكل طالب غير أزهري التقدم لطلب الشهادة

التلميذ مالا يراه ناظر مدرسته فيكون حظه أن تنقص درجاته في السلوك
واقدم يحتد الاستاذ على التلميذ لا لسوء سلوك التلميذ ولكن لمظاهرة
خلق المعلم وغفلته فلا يزال به حتى يبلغ باخلاقه عدة درجات تحت الصفر كما
شاهدناه باعيننا أيام كنا في سلك التلمذة بدار العلوم إذ كان أحد الطلاب من
رفقائنا وزملائنا لم يستطع أن ينال رضا أستاذه الإنجليزي فما كان يمر به يوم
دون أن تقطع طائفة من درجات سلوكه ولا يزال ذلك شأنه في كل ثلاثة
أشهر حتى إذا جاء الامتحان المعتاد وجد الطالب نفسه صفرا من درجات
السلوك وربما نقص المعلم من درجاته ما يجتنبه له في الامتحانات التالية
وبالجملة فإن في ترك هذه الكلمة عامة مهمة خطرا على التلاميذ وسلاحا
مرهقا في أيدي من قد لا يراقبون الله ولا يحاسبون أنفسهم فالواجب إذا أن
تفسر هذه اللفظة تفسير ايزيل لبسها وأن تقصر على مالا يجوز أن يأتيه الطالب
من صنوف السلوك التي تخل بالشرف والمروءة. والا كانت شر على الازهر
لا يحتمله طلابه.

على أننا نرى الغاء اعتبار درجات السلوك شرطا في منح شهادة العالمية
فإن الرجل الذي يمكنه سلوكه من البقاء في الازهر خلال ثماني عشرة سنة
ولا يأتي فيها ما يسيء سمعته ويلوث جامعته لا ينبغي أن يقدر له في امتحانه
الاخير شيء من الدرجات للسلوك والا خلاق ولذا لا نكاد نجد في أي جامعة
أو أي كلية مثل هذا الشرط.

اما في معاهد التربية الصغرى فلا بد من اعتبار درجات للسلوك لان
في ذلك نذيرا للاحداث واليا فعين الذين يغلب عليهم عادة الطيش وحكم الهوى
والميل الدنيئة فاشتراط حسن السلوك في جواز بقائهم بمدارسهم أو نيلهم

الدرجات الاولية أو انتسأهم من فرقة الى أخرى يدعوهم الى التجافي عن
معاهد الفساد ومزل الاقدام ولهذا يعتبر علماء التربية من جملة التهذيب واصلاح
النابتين. اما اذا استمر الطالب بالمدرسة حتى قارب زمن الامتحان الاخير
الذي به يحصل على الشهادة العالمية فإن ذلك دليل على ان خلقه لم يكن في القبح
بحيث يجعله لا يستحق ان ينال تلك الشهادة ومن العجيب ان يستمر الطالب
سبع عشرة سنة مثلا لا عيب في سلوكه وخلقته ثم تفسد سيرته ويقبح سيره
في آخر عهده بالدراسة والتحصيل.

ومن هنا كان على مجلس الشوري ان يطلب الغاء هذا الشرط بالنسبة
لشهادة العالمية بل والشهادة الثانوية وان يقصرها على امتحانات انصاف السنين
وامتحانات النقل من فرقة الى أخرى مع بيان السلوك الذي يترتب عليه
حرمان الطالب من النقل أو تأخيرده عن اخوانه في المرتبة
ولقد كان يحمل بواضعي ذلك المشروع ان يبحثوا عما اعتمدته معاهد
العلم الكبرى باوربا في هذا الصدد. ولم يكن بالصعب عليهم ان يطلعوا على
ما قررته نظارة المعارف المصرية أيضا في هذا الباب على ما به من القصور
هذا ما يقال في اشتراط درجات للسلوك حتى يعتبر الطالب ناجحا في
امتحاناته

أما المواظبة فالذي أراده أن تجعل شرطا في القسم الاولي والقسم الثانوي
فلا يجوز للتلميذ التغيب فيها عن دروسه دون أسباب معقولة والا تنقص من
درجاته والسر في ذلك أن الطالب في أحد هذين القسمين شديد الحاجة الى
ارشاد معلمه وتثقيفه وليس له من الادراك والعلم ما يساعده على تحصيل المواد
الدراسية وحده دون استعانة بمعلمه ففي تحلته عن شهود دروس معلمه قطع

لحلقات سلسلة دروسه ومضيعة له وهو لا يشعر فالواجب اذا نشدد معه في أمر المواظبة حتى لا تضع عليه ثمرات الدراسة ولا يذهب جهد الشيوخ معه سدى . ولقد يذكر علماء التربية من ثمرات المواظبة تمويد المتعلمين الوفاء بالوعود والحرص على المواعيد ووثيق روابط الالفة بين طوائف النابتين المؤلف منها فصول المعاهد الدراسية .

ولقد تساهلت معاهد التربية العليا باوربا في أمر المواظبة فتراها في إنجلترا تعتبر الطالب موفيا لشرط المواظبة اذا اثبت وجوده بالمدرسة ثلاث مرات في كل ثلاثة أشهر (راجع قانون معاهد الحقوق بلندن)

ومن الممالك من لا تشترط سوى ان يدفع الطالب مصروفاته السنوية ويسجل اسمه في دفاتر مدارسها ثم له ان يشتغل بالتحصيل بعد ذلك في أى بلد شاء حتى اذا جاء وقت الامتحان ذهب الى حيث لجان الامتحان فيجلس في مصاف اخوانه الذين لا يتخلفون عن تلك المعاهد يوما ما (راجع ما فعله لحكومته الفرنسية مع بعض طلاب الحقوق)

يظهر ان ما كتبناه أمس في أمر السلوك والمواظبة قد غمض بعض الغموض على فريق من القراء ولزيادة البيان نقول

ان السر في اشتراط درجات معدودة للسلوك والمواظبة انما هو القصد الى حمل التلاميذ الصغار على مداومة العمل والحرص على الاستفادة من الاساتذة لانهم كما قدمنا أمس لا يستطيعون الاستقلال بتفهم المسائل العلمية والبحث فيها وبلوغ ما قصد من الكتب الفنية والعلمية خرسا على مصالحهم واحتياط لمنفعتهم كلّفوا بالمواظبة وعوقبوا على التخلف

وكذلك القول في اشتراط درجات معدودة للسلوك فان في ذلك مبعثا

لحذرهم ومجلبة للتجافى عن مواطن الشبهات والمفاسد لا سيما وهم صغار لا يحذرون الا العقوبات ولا يرتجون الا المثوبات

أما اذا كبر التلميذ وصار في سن الرجولية المعتمد بها فانه يكون قديرا على فهم الدروس في أكثر الاوقات وحده دون الاستعانة بمعلم كما أنه اذا عثر على ما يتعسر عليه فهمه وجدناه يذهب من نفسه فيجب عن يساعده على حل المشكلات وتذليل العضلات . فالتلميذ الذى هذا شأنه لا يحتاج في الحقيقة الى اشتراط المواظبة وانما يكفي أن ينتسب الى إحدى الكليات انتسابا بحته مع توفيقه حقوقها الرسمة المادية

وكذلك يقال ان التلميذ لا يمكن أن يبلغ سن الرجولية وهو في طلب العلم الا بعد أن يقطع في الدراسة الابتدائية وللدراسة الثانوية عدة سنين يكون فيها تحت مراقبة أساتذة وتأديبهم وتهذيبهم . ولو أن اخلاقه وآدابه استعصت على أساتذته فلم يستطيعوا تقويم أودها لما جاز لهم استبقائه تلك السنين الطوال وامامهم من القوانين النظامية ما يوجب عليهم طرد كل من فسدت اخلاقه فسادا لا يصاحبه التأديب ولا يفيد العلاح

اذّا متى بلغ الطالب ذلك العمر وجب ألا يعامل معاملة الاحداث في زنة الاخلاق الا خلال أزمته الدراسة

أما في امتحان الشهادة فلا يجوز مراعاة ذلك أصلا

وحسبنا ما نراه من نظام نظارة المعارف فقد عهدناها لا نشترط في نيل شئ من شهادتها الابتدائية والثانوية والعلمية عدداً محدوداً من درجات السلوك والاخلاق اكتفاء باشتراط توفّر ذلك وتحققه فيمن تريد استخدامه في مصالحها ممن يقدمون لذلك

ولنتقل الآن بالقراءة الى الباب الرابع فنقول :

جاء في جملة شرائط قبول الطالب في الجامعة الازهرية (مادة ٦١)

أن يكون الطالب سليم الجسم خاليا من الامراض

والذي نراه وجوب تفسير سلامة هذا الجسم فان الاعرج مثلا يستطيع

أن يكون من طلاب الازهر فيجاري غيره من ذوى الرجلين كما أن المصاب

في احدى كريمة لا تمنعه عاهته من مواصلة الدروس والنبوغ فيها

فاذا حرم أصحاب هذه العاهات من الدراسة بالازهر وملحقاته في

أطراف القطر المصري فالى أين يرحلون في سبيل العلم ؟

إذاً يجب أن تعدل هذه الفقرة تعديلا يقصرها على العاهات التي لا

يتمكن بسببها صاحبها من التحصيل وكذلك على الامراض الضارة المعدية

وجاء في المادة (٧٠) أنه اذا امتنع المدرس عن أداء ما كلف به من

الاعمال فصل وقطعت مرتباته بعد انذاره من قبل المشيخة

ولا يخفى أن هذا محض تعبد بسلطة الفرد وتعريض للاشخاص الى

أخطار استبداده فلم لم يحتم أصحاب هذا المشروع ألا يصاب المدرس باذى

حتى يعرض أمره على مجلس تأديب يتألف بطريقة منتظمة قانونية كهيئة

بصيانة حقوق العباد وحائلة بين الرؤساء وبين الاستبداد ؟

وهل هذا بدع في بلدة تسير حكومتها في معاملة جميع موظفيها على مقتضاه ؟

نحن لا نظن أن واضع هذا المشروع بلغ بهم الاستهزاء بشيوخ

الجامعة الازهرية ذلك الحد الذي لا يذهبون فيه التسوية بين علماء الازهر

وبين أصغر موظفي الحكومة وأحققرهم حتى جعلوا أمرهم بيد فرد واحد

يصرفهم كيف يشاء ويقضى فيهم بما يريد

عقد واضع المشروع الفصل الاول من اليباب الخامس في أجازات

الطلبة ولا بأس بما ورد فيه مادام مقصورا على طلاب القسمين الاولى

والثانوى

أما طلاب القسم العالى فأرى أن يعاملوا معاملة نظرائهم في البلاد

النظامية فيكتفى منهم بأثبات وجودهم في المعهد وأنهم ليسوا خارج البلد الذى

فيه المعهد الذى ينتسبون له وعلى هذا يحسن أن يكتفى بشهود الطالب

الدروس أربع مرات في كل شهر لا سيما طلاب السنة الاخيرة من القسم

العالى فانهم جديرون ألا يتشدد معهم في أمر الواظبة وشهود الدروس

لاهم ربما استفادوا من المذكرات والمدارسات خارج الازهر اكثر مما

يستفيدون من شيوخهم في حلقات الدروس . أضف الى ذلك أنهم رجال

يعقلون فلا يتوقع ان تعزت عن أذهانهم مشقات الامتحان ولا ينتظر منهم

أن يلهوا عن مذاكراتهم وامامهم حساب عسير ومأرب كبير

هذا كل ما رأيناه في الباب الخامس فلنتنتل الى الباب السادس المتعلق

بتأديب الطلبة والمدرسين وسائر الموظفين فنقول :

جاء في المادة (٨٩) من المشروع أن من العقوبات التى يباح للمدرس

ايقاعها على تلميذه دون استشارة ولا استئذان الطرد من المدرسة مدة

أسبوع وهذا ما لم نسمع بمثله من قبل في نظام أى مدرسة . وربما كان

الاقرب الى المعقول ان يطالب المدرس من رئيس المشيخة ايقاع ذلك مقدما

طلبه في ورقة تسمى ورقة العقوبات بذكر فيها الشيخ ما ارتكبه الطالب من

المخالفات ثم يردف ذلك بتعيين العقوبات التى يراها ولشيخ المعهد ان يرى

رأيه في ذلك . فاذا عدلت هذه الفقرة على الصورة التي ذكرناها هنا كانت أقرب الى العقل وأضمن للعدل

تترك هذه الفقرة وتدرج قليلا قليلا حتى تستوفنا فقرة تمثل استبداد القرون الوسطى

وقبل ان نبدي ملاحظتنا عليها يجب أن نأتي على نصها حتى يكون القارئ على بينة مما نقول وهي كما يأتي :

(ومن العقوبات التأديبية) « الرقت مع الحكم على المرفوت بالابعاد من البلد الكائن فيه المعهد مدة أكثرها سنتان »

أراني بعد ان سردت هذه الفقرة لست في حاجة الى شرح ما فيه من الغرائب والعجائب التي لا تنطبق على مقتضى العقل ولا يقوم معها ميزان للعدل ولا تناسب روح السباسة والتدبير في القرن العشرين

ولكنني في حل من ان أقول ان البلد الذي ينشر فيه رفات قانون المطبوعات وتحال فيه قضايا الصحف على محكمة الجنايات ويقرر قانون النفي الادارى لا ينبغي أن يتعجب منه اذا تمخض عن مثل هذه العقوبة التي لو اطاع عليها أحد من الامم الغربية لأيقن ان طلاب العلم في الجامعة الازهرية عصابات سطو وقطاع طريق

ان من المخجل للامة المصرية بل للامم الاسلامية جميعها ان يكون طلاب العلوم الدينية من بينهم أهل لعقوبة النفي التي يريدوا واضعو هذا القانون كما ان من العار الفاضح والسبة الشنعاء ان يكون في الامة المصرية من يرضى عن وجود هذه العقوبة أو من نحدثه نفسه ان يفض الطرف عنها أو يحجم ساعة عن تقييدها واستمجانها

نحن نعلم ان قانون العقوبات المصري قد اشتمل على شيء من هذا ولكن لمن الحق في تقريره ؟ وفي أي طبقات الامة ينفذ ؟ انه لا يعاقب بعقوبة النفي من بلد الى آخر الا المجرمون المعتادون ثم لا تصير العقوبة الزامية الا اذا أصدرت بها احدى المحاكم حكما قانونيا . فهل نسي ذلك واضعو هذا المشروع ؟ بل هم تناسوه ولو انهم شاؤوا لما اقترحوا تقرير هذه الفقرة التي لو اعتمدت وانفذت لكانت اقبح وصمة في تاريخ هذا المعهد الديني الكبير ولا لصقت بطلابه من السبة ما يكفي وحده لاسقاط كرامتهم والتشهير بهم اينما أقاموا وحيثما ارتحلوا . نعوذ بالله من مشروع عاقبته الندامة الى يوم القيامة

ولعلك لا تعجب أيها القارئ بعد تلاوة ما سردناه عليك اذا جئناك بشيء آخر من هذا القليل فقد جاء في فصل عقوبة المدرسين ما نصه :

« اذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته ومهنته مالا يناسب وصف العالمية يحكم عليه من شيخ الجامع الازهر باجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في الباب السابع من هذا القانون بإبطال شهادة عالميته ولا يقبل الطعن في هذا الحكم »

يتدبر المفكر هذه البدعة الجديدة في ترتيب العقوبات فلا يدري ماذا يريد مبتدعوها ولا يعرف الناموس النظامي الذي اسست عليه ؟ ويظهر لنا ان واضعي هذه العقوبة لم يفهموا معنى الشهادات ولا مزايها ولا كيف يكتسبها صاحبها فنقول

جرت عادة المعاهد العلمية والفنية ونظامها ان طلاب العلوم والفنون

فيها . اذا قضاوا بها عدة من السنين أقيمت لهم اختبارات بعضها تحريري وبعضها شفوي وقد تقام في بعض البلاد امتحانات عمومية يؤمها طلاب المدارس على اختلافها وتغاير نسبتها . مثال ذلك مما بين أيدينا امتحان الشهادة الابتدائية وشهادة البكالوريا وامتحان مدرسة الحقوق الخديوية في الوقت الحاضر سواء في ذلك امتحان النقل من فرقة الى أخرى وامتحان الدبلوم النهائي . ولا يخفى أن مصر في ذلك ليست مبتدعة لهذا النظام وإنما هي محاكية للحكومات الأخرى ومقلدة لها

يتقدم الطالب لتلك الامتحانات وقد أعدت له أسئلة يقصد منها أن يسبر غور معلوماته ومبلغ استنارة عقله وحذقه في بعض الفنون حتى اذا تسنم عقاب الامتحان وقطع أشواطه اعترف له لجان الامتحان بالنيابة عن أنابها سواء كان حكومة البلاد كما في الامتحانات العمومية أو طائفة من الناس تقوم بتنشيف العقول ونشر العلوم كما في المعاهد التي يسمونها (المعاهد الحرة) أي التي لا سيطرة للحكومة عليها

ولقد اصطلح على أن يعطى الناجح في تلك الاختبارات ورقة تدل على نجاحه في الامتحان وتقوم مقام اعتراف الحكومة اللفظي بذلك فالشهادات بالمعنى الذي ذكرناه ليست إلا من صنوف الرموز والاشارات دالة على أن صاحبها قد حصل مقادير صالحة من العلوم والفنون الدالة هي عليها وأنه سئل في أبوابها ومسائلها فأحسن الاجابة فيها . هذا هو معنى الشهادات . اذا فكيف يعقل أن يكون هناك من صنوف النظام ما يبيح للفتنة المسيطرة استرداد تلك الشهادات ؟ وهل معنى هذا إلا أن الانسان قد اعترف له

أولا بالنجاح في الامتحان وشهد له بتحصيل طائفة من العلوم أو الفنون تحصيل احاطة واستيعاب ثم ينكر عليه ذلك بعد تحققه ؟

وهل يستطيع فرد أو أمة أو حكومة أن تسترد اعترافها لشخص وشهادتها له بأمر ما بعد أن أعلنته وجاهرت به وأعطته بذلك ورقة سجلت عليها اعترافها ؟

وهل مثل هذا الا كمثل شخص حصل فن الرسم وأجاده تمام الاجادة حتى لم يستطع أحد من مختبريه وناقدي آثاره الا الاعتراف بكفايته ونبوغه اما قولاً أو تحريراً ؟

فهل من المستطاع أن يسترد هؤلاء المعترفون له بالقدرة والكفاية شهادتهم بما معناه أن المشهود له انقلب جاهلاً بعد أن كان عالماً وأنه أصبح لا يعرف كيف يرسم حتى الخطوط البسيطة ؟ الا أن ذلك ما لا يتصوره عقل عاقل ولا يخطر يوماً ببال مفكر

لذلك ما وجد في أمة من الأمم منذ بدء الخليقة فيما اذكر عقوبة كهذه لأنها أمر ينافي العقل ويضاد الفطرة البشرية وما وجدت فيما درست وقرأت وشاهدت وسمعت ما يشبه هذه العقوبة الا ما يقرره البابا من حرمان بعض الكاثوليك من دخول الجنة ! وهل يجوز تقرير هذا في أمة دينها الاسلام وشيوخها يعلمون ما لهم من الحدود الشرعية وانهم لا يمتازون عن سائر الناس بشيء الا ما حصروه من العلوم وما تجملوا به من الاخلاق الفاضلة الكريمة وكذلك يعلمون أنه ليس لمسلم أن يعتدى على آخر أو يتصرف فيه تصرف السيد المستبد في عبده أو الاله القاهر في خليقته ؟

والخلاصة ان الذي أراد ويطلبني عليه كل من له شائبة المام بالتربية

وفنونها ان العلماء الذين يأتون ما ينافي صفة العالمية يجب أن ينظر في أمرهم
فان كان ما يأتونه يدخل في دائرة قانون العقوبات العام قدموا للمحكمة
لترى رأيها فيهم فان ثبت عليهم شيء عوقبوا بما تراه المحكمة ثم كان للمجلس
الاعلى تقرير عقوبة ادارية أخرى تناسب جريمتهم وان لم يدخل عملهم في
دائرة قانون العقوبات اكتفى بعقوبتهم عقوبة ادارية لا تبلغ مبلغ ما ينص
عليه في قانون العقوبات المصرى وأرجو أن يكون في جملة الجرائم التى
يعاقب عليها العلماء ادرياً ما عسى أن يأتية بعضهم آتية بعد أخرى من ضروب
الدهان والتسكع حول القصور والاختلاف الى دور الكبراء والتقاعد عن
رد ما يرد على الاسلام من الشبهات وتسفيل الايدى فى جمع المال ولو من
طريق تليفق الفتاوى وتحريف النصوص القرآنية وغيرها

هذا ما أقترحه على واضعى المشروع الذين سيدافعون عنه وما أطلبه
من رجال الشورى وأرجو ألا يكون فى ذلك غضاظة لآخواننا الازهريين
فانى بالطبع لا أعنى منهم الا طائفة شوهت سمعة الصالحين منهم واضطرت
الناس الى التهجيم على الجامعة الازهرية جميعها دون تفريق ولا تمييز. ولو
أن الزجباء الاتقياء منهم أنصفوا لكانوا فى مقدمة العاملين على تطهير هذا
المعهد الكبير الشريف من تلك الادران ولحاربوا الاراذل الذين جروا
عليهم كثيراً من الشرور وأحلوا بهم الظنون السيئة من كل طائفة وأمة
وقبل ان أختم كلامى فى هذا الموضوع أحب ان استميج آخواننا
الازهريين العفو اذا زل القلم بكلمة يرون فيها تهجماً عليهم وحطاً من كرامتهم

فانى ما قلت الا ما اعتقدت ولا قصدت الا الاصلاح ما استطعت وانما
الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى

درسنا الفصل الثانى فى الكتب وفى لجنة الكتب من المشروع الجديد
فلم نجد بأساً فيما ورد به من المواد بيد اننا بالاطلاع على المادة (١٢٥)
وجدنا ثلاث ملاحظات أوجب المشروع على لجنة مكافآت الكتب مراعاتها
والذى نراه أن يزداد على تلك الملاحظات الثلاث رابعة وهي كما يأتى :
رابعاً ان تبين اللجنة فى حالة رفض الكتاب الأوجه التى بنت عليها
ذلك الرفض بالتفصيل

ذلك أنه اذا رفضت المؤلفات دون بيان الواجهة السديدة كان ذلك
مجلبة لسوء الظن وكثرة القيل والقال ومجالاً لاحتكام بعض ذوى المآرب
والاغراض

وجاء فى المادة (١٢٦) ما نصه :

« تفضل كتب فقه المذهب الواحد اذا اتفقت مع كتب المذاهب
الآخري فى التبويب والترتيب دون غيرهما مما سبق تقرير مكافأة عليه »
ولقد تكاد هذه المادة لا تفهم لابهامها ونموض ما يراد بها. اذ المعقول
فى أمثال هذا الموضوع أن تعين اللائحة كتاباً معيناً ترضى ترتيبه وتبويبه
وتنسيقه ثم تجعله مقياساً يرجع اليه فى تقدير سائر الكتب التى من نوعه .
واذا لم تجد كتاباً يبنى بالغرض المطلوب وضعت فهرساً مرتباً ونظاماً خاصاً
وشرائط معقولة ثم يشترط ان تتفاضل الكتب بمقدار تفاضلها فى استيفاء
تلك الشرائط ومبلغ اشتغالها على تلك الابواب ومطابقة تنسيقها وترتيبها لما
وضع فى اللائحة . أما القول بأن التفاضل بين الكتب معقود بأن تكون

فاذا لم توفق الحكومة لادخال التعديل الذى اقترحنه هنا ولم تعمل به
فلسوف يكون الانتخاب سبب العاقبة مؤلم المغبة

وقيل ان نختم كلامنا فى موضوع هذا المشروع نريد العودة الى ما جاء
بالمادة (٦٢) فيما يختص بالعميان فقد ورد فيها التعبير بلفظ يجوز قبول العميان
ضمن طلبة الجامع الازهر

وكان الواجب ان يقال يقبل العميان أما التعبير بلفظ يجوز فانه يوم ان
لادارة الجامعة الازهرية الخيار فى قبولهم وعدم قبولهم . وينبغى ان ينص
على ما يختص بامتحاناتهم والشهادات التى يعطونها وهل يوظفون أو لا
يوظفون وما ذا عسى ان تكون روايتهم . اما قصر وظائف التدريس على
البصيرين وانغال أمر العميان فان هذا خسارة كبيرة على طائفة من الامة
لم تأت بجنابة تمنعها من النفع والانتفاع وانما هى عاهات نزلت بهم فسلبتهم
أبصارهم . ولقد أرانا التاريخ عدة من العلماء كانوا عميانا ولم يمنعهم حرمانهم
من البصر ان يكونوا فى مقدمة الجهابذة وكبار المحصلين

فالرجو ان يعنى مجلس الشورى بما اسلفناه هنا من الملاحظات والله

ولى التوفيق
عبد العزيز جاویش

١٣٤٤ هـ

خطبة وكيل الحقانية

فى مجلس الشورى

١٣٤٤ هـ

قرأنا خطبة سعادة وكيل الحقانية التى ألقاها فى مجلس شورى أول
أمس فرأيناه شديد الحملات على من يزعم أنهم رموه بالخيانة وسوء القصد
وهكذا مما دل على أن سعادته يظن أن هنالك قوما فعلوا ذلك .

فاذا كان يعنى ما كتبناه فى نقد المشروع الازهرى فالقراء شهود على
أننا ما رميناه لحظة ما بامثال هذه الهنات وانما الذى ارتأيناه ولا حظناه آراء
عنت لنا وهدانا اليها بحثنا فى مواد ذلك المشروع .

ومن البديهيات المسلمة أن الناقد لا يمكنه أن يعتقد أثناء نقده عصمة
المنتقد من الزلل والخطأ والا لم يكن هناك معنى للنقد والتجريح . ولقد أعلننا
رأينا لا على أن يكون هو الصواب فى الواقع وانما هو ما بلغه جهدنا وما
رسخ بذهنا وأما الواقع فعليه يظهر لمن عسى أن يدرسوا الموضوع من رجال
الشورى ويمعنوا فيه الرأي ولهم أن يقرروا ما يرونه صوابا كما أن على المنصف
منا أن يرجع الى الحق أيا كان صاحبه

يقول سعادة وكيل الحقانية « ولكن الذى يهمنا أن ينظر (المشروع)
أمام الهيئة لتوضح الحق للملأ وندافع عنه حتى يحرق أصبع الحق أعين
المسكبرين » ونحن لا يسعنا هنا الا أن نعلن شكرنا لسعادته على عدته هذه

واعلانه الاعتصام بالحق بالحق والمدافعة عنه ونعمده على أننا لا نكتفي بنحرق
أعين المكابرين بأصبع واحدة وليكننا نساعد سعادته على وضع جميع أصابع
اليدين في عين من يرون الحق فينكرون وتقوم عليهم الحجة فيكبرون
ولقد كننا نود أن سعادة الباشا لا يملكه الغضب حتي يثبت لسمو الامير
وهو من المسلمين الموحدين ما لم يرضه الله الا لنفسه من الوحدة ونفى
الشريك فلقد جاء في خطبته ما نصه :

« بل أراد الجناح العالى الذى هو صاحب الحق وحده فى هذا
الموضوع. الذى ليس له شريك فى أوامره فى الازهر من أول عهد الى الآن
فان حق الوحدة وعدم المشاركة ليس الا من حقوق الله عز وجل أما
سمو الامير وأكبر ملك على وجه الارض فانهم عباد الله يأتمرون بأمره
وينتهون بنبيه وهل هم الا رعاة مسئولون أمام الله وأمام أحكامه عما يعملون
وهل العالم فى أيديهم الا وديعة عليها يحاسبون وبرعايتها مكلفون
أما حفظ مقام شيخ الجامع الازهر واكباره فمعلوم أن الشئ اذا تجاوز
حدده انقلب الى ضده . فان الرئيس يجب أن يكون رئيساً فقط لا أن يكون
كل شئ . فاذا نحن أخذنا المشروع بشئ فاعما هو الافراط فى حقوق
رياسة الازهر وحصر كل شئ فى يد الرئيس والخروج بمعنى الرياسة الاسلامية
النظامية الى معنى السلطة البابوية التى تنكرها اليوم حتى الامم المسيحية أنفسهم
أما الكلام فى مسألة مدرسة القضاء الشرعى فاننا ما طبقنا يوم ما طالب
الازهر على ما سبق لهم من طلب الغائها ولا ارتضينا لحظة انفصالها عن الازهر
ولكن الذى قلناه وكرره غير مرة انه يجب احالتها على الازهر هى ومدرسة

دار العلوم وما يشابههما فى الوضع والغرض ولكن على شريطة أن يكون
فى الازهر ادارة قانونية نظامية تصون هذه المعاهد عن العبث
ويظهر أن سعادة الباشا كان من رأينافى أول الامر بدليل أن المادة التى
تختص باحالة مدرسة القضاء على الازهر لم تظهر فى المشروع الا بعد أن عرض
على ذوى الشأن ولذلك ألحقت هذه المادة الحاقا يعرف ذلك من رآها ملصقة
بالمشروع المطبوع مكتوبة بخط اليد وكذا من يعلم أنها ما ألصقت به الا بعد
أيام من الانتهاء من طبع للمشروع وتوزيعه

وان كان سعادة الباشا كما يقول فى خطبته يعبد السلطة بحق ولمصلحة
الامة فاننا لا نعبد الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت
وهو على كل شئ قدير القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير
يظهر أن بعض الناس قد داخلهم الشك فى حسن مقصدنا مما كتبناه
فى مشروع الجامعة الازهرية والله يعلم اننا ما أردنا كما يزعمون تشويه
الحقائق ولا تضليل الجمهور ولا ارباك أفكاه الباحثين
نحن لم يلبس علينا الامر كما زعموا ولا تعمدا تضليل القراء باغفال
الفرق بين تعيين شيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد والمذاهب وبين
ادارة الازهر وانما تدبرنا النظام الذى جاءنا به المشروع فلم نجد فرقا بين
أن يكون سمو الامير هو المدير لامور الازهر وحده وبين أن يديره
يقوم هو المختار لهم وحده دون سواه
اذ يدعي أنه اذا كان مجلس الادارة والمجلس الاعلى يتألفان على النحو
الذى ورد به المشروع كانا ولا ريت مجردين تماما من روح الاستقلال
وعاشا ما بقيا رهن اشارة زيد وأمر عمرو . فاذا كان تأليف أمثال تلك

المجالس غير خاضع لسلطة مطلقة ولا معقود بإرادة واحدة انفسح امام
أعضائها مجال الفكر وتقطع عقال ارادتهم وحريتهم فلا يحذرون فيما
يفكرون ويديرون تأنيب مؤنب ولا بطش رئيس

أما القيود التي وضعت في سبيل انتخاب أعضاء مجلس الإدارة فانها
غير كافية اذ كل ما فيها اشتراط انتخاب الاعضاء من أصحاب كساوى
التشريف ممن قضوا خمس سنوات على الأقل ولكن كيف يعينون ؟ ألم
يكن مرجع تعيينهم المجلس الاعلى الذى هو غير مستقل الارادة والعمل كما
يظهر من طريقة تأليفه ؟

يقول المشروع ان أعضاء المجلس الاعلى ينتخبون كما يأتى :

شيخ الازهر والمفتى ومشايخ المذاهب الاربعة ومدير الاوقاف .
فالى من يرجع الامر في تعيين هؤلاء في مناصبهم التي استحقوا بها أن
يكونوا أعضاء في هذا المجلس ؟ أليس هو سمو الامير وحده ؟

ثم اى من المرجع في تعيين الثلاثة الباقين من هيئة المجلس الاعلى ؟
أليس هو رئيس النظار ؟ أفبعد هذا ينكر علينا قولنا ان تأليف المجلس
الاعلى يكون محصوراً بين الامير ورئيس النظار ؟

لا أظن ان ذا فكر يرمينا بالتهمك بشيخ الجامع الازهر واعلان عدم
صلاحيته لذلك النفوذ والسلطة التي خوله اياها المشروع فان السنة النظامية
ان القوانين واللوائح لا ينبغي أن يراعى في وضعها وتقريرها حالة مخصوصة
أو أفراد معينون أو زمن محدود ولكن يجب أن يفرض في تقديرها كل
شئ ممكن حتى تصير صالحة لكل زمان ومكان ولكل حاجة وكل شخص
فما أبعدنا عن التهمك والسخرية من فرد ما لا سيما استاذنا الأكبر شيخ

الازهر في الحال . وما أجل ان ينصف منتقدونا فلا يلجأوا الى مثل تلك
السماعات

يضرب لنا الناقدون المثل بجلالة الخليفة الاعظم محمد الخامس ويخرجون
من ذلك الى القول بأن السلطة التي لسمو الامير في هذا البلد لا تخالف
من أى وجهة ذلك النظام الذى في البلاد العثمانية الدستورية ونحن على يقين
انه لولا تقائهم في الدفاع عن مشروعهم لرأوا أن الخليفة الدستوري لا يملك
الا تعيين الصدر الاعظم وشيخ الاسلام أما حق محاسبتها ومحاسبة سائر
الموظفين هناك فانما مصيرها الى الامة ونوابها فهم الذين لا يستقر في وظيفته
وظف الا اذا رضوا عنه فلا يثبت أحداً في منصبه ارادة السلطان اذا
عارضتها ارادة الامة . فليعطونا الدستور نعطيهم ما لغيرهم من النفوذ والسيطرة
ولقد كنا نخب الاطالة في رد كثير من المزاعم التي أعلنها بعض
الناقدين ولكننا نكتفي بما كتبناه في انتقاداتنا مفصلاً فان فيه لبلاغا يسد
انه لا بد لنا من التعرض لثلاث نقاط

(١) يراد منا أن نبين مأخذ ما قلناه من أن للمدرسين طرد التلميذ من
الدرس اسبوعاً . فان المادة صريحة كما قالوا في أن للمعلم ان يطرد التلميذ من
الدرس الذى وقعت فيه المخالفة اسبوعاً . وهذا الذى عيناه وصرحنا به في
عبارتنا وهو الذى أنكرناه ولا نزال نذكره على واضع المشروع أما غير
هذا قاننا لم نقله

(٢) يدافعون عن عقوبة النفي ويقولون انها موجودة في كلية (كبرج)
ونحن نقول لهم بانه لو فرضنا أن كانت دعواهم صحيحة فان مجالس هذه الكلية
تنتخب وتعمل وتقرر بطريقة دستورية تمنع تأثير الاهواء في نفوس الذين

وكذلك زادنا عزمًا على الاعراض عنها ما ملكت به تلك المقالة من السفاهات والبذاءات والتسفل في الآداب ولو أن تلك المقالة لصاحب المؤيد لما عجبنا ولا دهشنا فإن الرجل لم يعود قارئ صحيفته أحسن من ذلك ولسكننا على يقين من الذين يعينهم الدفاع عن هذا المشروع من جاءنا اليوم بقلم ليس أنظف ولا أظهر من قلم صاحب المؤيد ومن شاء أن يعرف مثالا من تلك القاذورات التي لطخ بها صاحب المقالة وجه المؤيد فلنقتطف له العبارة التي جعلها خاتمة مقاله إذ قال :

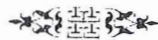
حسبنا أن نبين من هذه المقالات بعض الغلطات على الكاتب أن يحاسب نفسه بعد ذلك ويشفق على قرائه فلا يعود لمثلها وإن ظل على خطئه هذه عدنا إلى خطتنا معه ولا نقول إن عادت عدنا

يريد بذلك التلميح إلى قول الشاعر

* إن عادت العقب عدنا لها * إلى آخر البيت المعروف

هذا مثال من أدب ذلك الكاتب الكبير فليعذرنا القراء إذا مررنا

بكلامه مر الكرام يسبون ثم يقولون أنهم لا يعنون



يرون تقرير هذه العقوبة. فهناك ضمانة تشبه ضمانة المحاكم النظامية التي يخولها القانون الحكم بهذه العقوبة . أما تخويل هذا الحق مجالس الازهر بنظامها الذي وضعوه والتي لا ضمانة معه فلا يمكن الدفاع عنه بتشبيهها بمجالس الجامعات النظامية

(٣) يقولون « وما يدرينا ألا يكون حضرة الشيخ جايش أحدكم يومًا ما » يعنون أحد الثلاثة الذين يتم بهم عقد المجلس الأعلى . ثم يطلبون منا أن نتنظر حتى نرى ما عسى أن يكون في أمر انتخابهم !

ونحن نقول بأن مثل هذه العبارات لا توجه لأمثالنا وإذا ظن قائلوها أنها نفعت مع بعض مشايخ الازهر فسكتوا مترقبين تحقيق الاماني التي وعدوا بها فإنا لا نسكت عن اظهار الحق ولا يحملنا أى أمر على تضحية المصاحبة العامة كما يفعل البعض . على أنه لو كان الذين سينتخبون أعلم الناس وأعرفهم بضروب النظام وأقدرهم على تدبير الازهر أو أكبر من الازهر فإن هذا لا يحيد بنا عن المبدأ الذي يجب اتباعه في وضع القوانين وهو ألا يراعى في وضعها فرد معين ولا ظرف مخصوص ولا أحوال محدودة مفروضة فإن القوانين إنما توضع لتكون قيداً للمعتدين وهادياً للمنصفين من العاملين .

أما بقية ما ورد للناقدين فضعه يظهر من مجرد تلاوته حسبنا اليوم ما تقدم هنا حتى لا تقع الشورى في شئ من التشويش والارتباك والله ولي الخالصين اطلعنا على مقال في المؤيد يحتوى على دفع لما لاحظناه على مشروع الجامعة الازهرية . ولقد كنا نود ألا نغفل نقض ما جاء به من الردود علينا لولا أننا وعدنا أن نترك المشروع بين أيدي رجال الشورى فلا نشوش عليهم أفكارهم

الاجتماع والعمران

مقاومة انتشار الجرائم (*)

مسألة مقاومة انتشار الجرائم هي من المسائل الخطيرة التي كانت ولا تزال الشغل الشاغل لرجال الحكومات وعلماء الشرائع الاجتماعية وحسبنا دليلاً على ذلك ان لها علوماً وفنوناً مخصوصة كالسياسة الجنائية (politique criminel) وعلم أسباب الجرائم (criminologie) وعلم فلسفة العقوبات (poenologie) كل هذه العلوم وغيرها التي ترمي الى غاية واحدة وهي معرفة الادواء الناصعة لمقاومة انتشار الجرائم تدل على خطورة الموضوع وأهميته واتساع دائرته. ولذلك يصعب على الباحث أن يلم بكافة أطراف الموضوع في مثل هذه المحاضرة وكل ما أوصل أن آتي بفضلكم تعطى لقارئها فكرة عامة عن النظام المتبع في أوروبا لمحاربة الاجرام وعن آراء العلماء في ترقية هذا النظام واصلاحه

موضوعنا يتناول ثلاثة مباحث

المبحث الاول — هل هناك وسائل فعالة في منع وقوع الجرائم غير ارباب المجرمين بالعقاب؟

المبحث الثاني — اذا كان لا بد من وقوع الجرائم فما هو أحكم نظام لضبط المجرمين؟

(*) هذا نص المحاضرة التي ألقاها حضرة الاصولي البارع والكتب الفاضل عبدالرحمن أفندي الزافعي المحامي في نادي المنصورة الاهلي وقد أضاف اليها بعض زياتات لم يسبح له قانون النادي بالقائها فيه

المبحث الثالث — بعد أن تضبط ما هي خير وسيلة لمعاملة المجرمين وتخفيف وطأة شرورهم في الهيئة الاجتماعية؟

(١)

المبحث الأول

كانت الفكرة السائدة الى ما قبل القرن الثامن عشر ان خير وسيلة لمنع وقوع الجرائم بتوقيع العقوبات القاسية على المجرمين ومعاملتهم في السجون معاملة فظيعة فكانت همية الحكومات في ذلك الزمان قاصرة على التفتيش في اختراع الوسائل المتنوعة لتعذيب المجرمين في السجون ولكن هذه الطريقة التي منعها الحكومات السالفة لم تفد أي فائدة في مقاومة انتشار الجرائم بل كانت تسيئها بالعكس تحجر قلوب المجرمين بسبب ايلامهم بالقسوة والشدة فكان المجرمون ينقلون الى اناس متوحشين لا يخافون عقاباً ولا يهابون عذاباً. كما أن نظام القضاء كان خالياً من كل ضمانات للناس فكان القاضي غير مقيد بقاعدة أو قانون ولم يكن الناس آمنين على حرياتهم أمامه. ففي أواخر القرن الثامن عشر أخذ العلماء يفكرون في اصلاح النظام الجنائي ولكن الطريقة التي اتبعوها لم تأت بالغرض المقصود لانهم نظروا الى الجريمة في ذاتها ووضعوا لها عقاباً مستقلاً عن الظروف الشخصية والاجتماعية التي أحاطت بالجريمة وكل ما فعلوه انهم قيدوا القاضي بنصوص القانون حتى يأمن المتقاضون استبداده وجوره. وكان هذا الاصلاح بمثابة رد فعل الاستبداد الذي خيم على أوروبا قبل الثورة الفرنسية الكبرى. ولذلك كانت تلك الطريقة الجنائية افراطية لم تدرس فيها الجريمة درساً كاملاً ولم تفد فائدة

كبرى في مقاومة انتشار الجرائم حتى جاء القرن التاسع عشر الذي امتاز بان علماء أخذوا يدرسون الجرائم والمجرمين درساً علمياً اجتماعياً مدعماً على الحقائق العلمية والتجارب

شرع أولئك العلماء في اصلاح نظام محاربة الجرائم فتساءلوا : لماذا ننظر فقط الى الجريمة في ذاتها ولا نبحث عن أسبابها والعوامل التي أدت اليها . الجرائم ما هي الا حوادث اجتماعية ترجع من جهة الى ادارة الشخص وتكوينه ومن جهة أخرى الى المؤثرات الاجتماعية التي تحيط به فيجب علينا اذا أردنا أن نحارب الجرائم أن نحارب الاسباب التي دعت اليها حتي يعالج الداء من أصله

عقاب المجرمين أمر لازم لا بد منه لارهابهم وحماية الهيئة الاجتماعية من شرورهم ولكن العقاب علاج سطحي لا يكفي لمحاربة الجرائم لأنها أعراض أمراض كامنة في جسم المجتمع فمن الواجب أن يعالج المرض لتزول أعراضه

هذه حقائق اجمالية عن مباحث علماء القرن التاسع عشر في أسباب الجرائم ولكن هؤلاء العلماء لم يتفقوا على بيان تلك الاسباب فقد انقسموا الى فريقين مختلفين كل منهم أنشأ مذهباً يدافع عنه

المذهب الايطالى

كان المذهب الايطالى أول هذين المذهبين في الظهور فان المذهب الثانى انما نشأ ليقاوم المذهب الاول في مبدأه . وضع هذا المذهب وشرحه ثلاثة من علماء ايطاليا وهم لبروزو استاذ الطب الشرعى في كلية تورين سابقا وفري استاذ القانون الجنائى وجارومالو القاضي بمحاكم ايطاليا . وضع أولئك

العلماء كتباً عديدة شرحاً لمذهبهم ودفاعاً عنه كان لها شهرة ذائعة في عالم المؤلفات الجنائية وكانت أبحاثهم كلها موجهة الى دراسة أسباب الجرائم السكينة في ذات الانسان أى في صفاته وطباعه وأخلاقه معتبرين أن المجرم هو شخص مريض يجب تشخيص مرضه واعطاؤه العلاج المناسب له

ولذلك قسم زعماء هذا المذهب المجرمين الى خمسة أقسام (١) المجرمون بطبيعتهم وهم المنطورون على الاجرام الذين ولدوا من أبوين مجرمين فنشأوا مجرمين (٢) المجرمون المعتادون على الاجرام وهم الذين نشأوا في وسط اجرامى فنشأوا مجرمين (٣) المجرمون الهوائيون وهم الذين يوجدون في ظروف تميل أنفسهم فيها الى ارتكاب الجريمة ولا يجدون من قوة ارادتهم ما يدفعون به تلك الظروف (٤) المجرمون عند الغضب وهم الذين يرتكبون الجريمة في سورة غضبهم (٥) المجرمون المعقوهون وهم الذين اختل توازنهم العقلى ولو بعض الاختلال بسبب الجنون أو الادمان للمسكرات

يذهب لومبروزو أيضاً الى أنه يجب أن يكون القضاة أطباء يفحصون المجرمين كما يفحصون المرض لان المجرم لم يرتكب جريمة الا لانه مريض واذا كان للمجتمع الحق في أن يدفع عن نفسه ضرر هذا المريض فلا يكون ذلك الا بمداواته واعطائه العلاج اللازم له فهم يرون أن تنقلب السجون الى مستشفيات يعالج فيها المجرمون كما يعالج المرضى

أهمل هذا المذهب دراسة الجريمة واقتصر كما قلنا على دراسة المجرم في ذاته ولذلك جاء مذهباً ناقصاً ولم يكسب أنصاراً كثيرين من العلماء الجنائيين ولا من المشرعين ولكن كان له رغم ذلك فوائد عملية كثيرة لان بعض الشرائع قد استندت على بعض مبادئ وقواعد لمعاملة المجرمين

وتحسين حالتهم والسعي في تهذيب نفوسهم وترقية عواطفهم كما سنتكلم عن ذلك في المبحث الثالث

﴿ المذهب الاجتماعي ﴾

أما المذهب الثاني فهو المذهب الاجتماعي الذي يفيد أن أسباب انتشار الجرائم أو قلتها كامن في الوسط الاجتماعي الذي فيه المجرمون أو بعبارة أخرى العوامل التي تؤدي الى وقوع الجرائم هي عوامل اجتماعية أكثر مما هي عوامل شخصية

. يقول أنصار هذا المذهب: أصحابوا نظام الهيئة الاجتماعية يقل عدد الاشرار والمجرمين ويعيش الناس آمنين مطمئنين . ربوا الامة . أنشئوا المدارس . تستغنوا عن انشاء السجون . علموا الناس وهم صغار بدلا من أن تزرعهم في اعماق السجون وهم كبار

يقول أيضا أنصار هذا المذهب : كيفما يكن المجتمع تكن حالة مجرميه وأشراره . فان الوسط الاجتماعي هو المغرس الذي تنبت فيه شجرة الشر والاجرام . فاذا كان الوسط فاسداً ونظام المجتمع منحطاً تكونت فيه جرائم الجرائم كما تتكون جرائم الوباء في الاوساط المستعدة لايوائها وتكونها . هذا مجمل ما يقوله أنصار المذهب الاجتماعي ويجعلونه أساساً لاجتاهم في الادوية الناجحة لمقاومة تيار انتشار الجرائم ومنع وقوعها . فهم يعتبرون أن خير وسيلة لمنع وقوعها ليس في تشديد العقوبات على المجرمين اربابا لغيرهم بل في اصلاح الوسط الاجتماعي وتهذيب النفوس حتى تصير نفوساً تنفر من ارتكاب الجرائم

وقد أيدت المشاهدات صحة هذا المذهب . فانا لو نظرنا الى حالة

الاجرام في سويسرا مثلاً وفي غيرها من البلاد المشهورة بقلة الجرائم فيها وقارنا بينها وبين حالة الاجرام في بلادنا لوجدنا فرقاً كبيراً بين الحالتين . فان مما يلتفت نظر السامع في سويسرا ضعف جيش المجرمين هناك . فلم ذلك ؟ لأن هناك محاكم تستعمل منتهى القسوة والصرامة في توقيع العقوبات أم لأن الحكومة السويسرية قد تفننت في تعذيب المجرمين في السجون ؟

كلا ! لا هذا ولا ذاك . فان نظام محاربة الجرائم في سويسرا هو أخف النظامات وطأة على المجرمين . فالسبب الحقيقي في قلة الجرائم في تلك البلاد السعيدة أن نظام المجتمع هناك راق وان الحكومة حاربت أسباب الجرائم فقضت على الداء في مهده ومنبته

الحكومة هناك تعني بتربية الامة وتغرس في نفوس أبنائها حب الفضيلة واستنكار الرذيلة . المدارس هناك منتشرة في كل قرية تؤلف بين قلوب الناس وهم صغار وتنشئهم نشأة صالحة طيبة فيقل بطبيعة الحال ميل الناس الى ارتكاب الجرائم والمنكرات

الحكومة هناك تعني بالتعليم الصناعي والزراعي فتسهل لقومها سبل التكسب وتغنيهم عن التلصص وسلب أموال بعضهم بالباطل الحكومة هناك تحارب التشرد الذي هو من أكبر البواعث على ارتكاب الجرائم ولكنها لا تحاربه بتشديد الوطأة على المتشردين بل بتعليم المستعدين للتشرد صناعة يتقنون بها شر البطالة

الحكومة هناك تحارب المسكرات تلك الآفة التي هي أكبر عامل في انتشار الجرائم الفاحشة وتضييق السبل على تجارها وبائعها حتى تقى الناس ضرورها وآثامها

لا يعجزهم اكتشاف أى جريمة مهما كان مدبروها من أمهر المجرمين
وأقدرهم على اخفاء معالم الجرائم

كفاءة رجال الضبط فى تلك البلاد هى آفة المجرمين ولولاها لعاثوا
فساداً ولزعزعوا أركان الامن والسلام ولصار الناس غير آمنين على مالهم
وحياتهم وأرواحهم لأن جيش الاجرام فى أوروبا مشهود له بالقوة والافتقار
وجنوده متعلمون يستعينون على ارتكاب الجرائم واخفاء أسرارها بالدهاء
والمستجدات العلمية. فالجريمة ترتكب هناك بتدبير محكم يقف الناس امامه
مبهوتين ويظنون انه يستحيل الوصول الى معرفة الفاعلين لها لضياع معالمها
وآثارها. ولكن رجال الضبط لا يزالون يبحثون وينقبون سراً وجهرًا
ويواصلون الليل بالنهار مستعينين بكفاءتهم ومهارتهم حتى يهتدوا الى أثر
ضعيف من الجريمة فيسيرون وراء هذا الأثر ويعملون على تتبعه وتوسيع
دائرة معلوماتهم عن الجريمة بما وهبوا من قوة الاستنباط والاستنتاج حتى
يهتدوا الى جميع أسرارها

والجمهور هناك يعلم ذلك ويقدر وظيفة رجال الضبط حق قدرها
ويعتبرون انهم من أشرف الوظائف وأعودها بالخير على الهيئة الاجتماعية
ولذلك ينتظم فى سلك رجال الضبط هناك وخصوصاً رجال البوليس السرى
أبناء أرقى العائلات ليكسبوا شرف الدفاع عن المجتمع وحمايته من اعتداء
الاشرار والمجرمين

وهناك فضيلة أخرى فى رجال الضبط جميعهم من أكبر رجل فيهم الى
أصغر جندى من جنودهم وهى الاخلاص والثفانى فى القيام بالواجب فترى
الجندى منهم يزعج نفسه فى حومة الخطر للقبض على الشقي ويرى نفسه

الحكومة هناك تقوم بالواجب عليها خير قيام ولذلك صار المجتمع
السويسري مجتمعاً راقياً لا تعيش فيه مكروبات الجرائم لانها لا تجد
هناك وسطاً تأوى اليه وتمو وتكثر فيه بسهولة وسرعة

تلك هى الاسباب الاجتماعية التى تؤدى الى نقص عدد المجرمين فى
تلك البلاد وبهذه الوسائل تسمى الحكومات فى منع وقوع الجرائم

(٢)

المبحث الثانى

﴿ نظام الضبط والربط ﴾

(وتأثيره فى قلة أو كثرة الجرائم)

انتهينا من المبحث الاول وهو تأثير الوسط الاجتماعى فى حالة
الجرائم ووصلنا الى المبحث الثانى وهو نظام الضبط والربط وتأثيره فى
جيش المجرمين

من أهم الوسائل التى اتبعت فى البلاد المتمدينة لمطاردة المجرمين أحكام
نظام الضبط والربط فان من أكبر ما يدفع المجرم الى ارتكاب جريمة أهله
فى ان لا يهتدى رجال الضبط الى اكتشاف تلك الجريمة فينجو من
العقاب

عرفت الحكومات المتمدينة تلك الحقيقة فاحكمت نظام الضبط فى
بلادها وعينت بذلك عناية كبرى وضيقت بذلك الخناق على المجرمين

تسمى الحكومات جهدها فى تلك البلاد فى تعليم رجال الضبط على
أحدث وأرقى نظام حتى يدخلوا فى وظائفهم متسلحين بكافة الاسلحة العلمية
اللازمة لمحاربة الاشرار فيجد الاشرار أنفسهم امام أخصام أكفاء أقوياء

مهدداً بأن يفقد حياته ومع ذلك لا يتأخر عن القيام بالواجب المفروض عليه الشرطي أو الجندي البسيط يعلم أن عليه واجباً للمجتمع وهو مطاردة الاشقياء وتضييق الخناق عليهم ولو بذل روحه في سبيل ذلك . يقدم الجندي البسيط على الموت غير هيب ولا وجل اذا ناداه منادى الواجب بان يضبط مجرماً متلبساً بجريمته . فكم من دماء لا وائمك الابطال أريقته في سبيل تقانيم في القيام بالواجب عليهم وكم ذهبوا فريسة المجرمين والاشقياء

هذه الفضيلة التي امتاز بها رجال الضبط في تلك البلاد والتي لا تظهر في بلادنا الا نادراً ترجع فيما اعتقد الى سببين (أولاً) انهم تربوا على تلك الفضيلة منذ نعومة أظفارهم وأشربت قلوبهم هذا الواجب (ثانياً) ان الحكومات والجماعات هناك تعرف لمن يقوم بالواجب فضله وتذكره له وتسطره بمداد الشكر والثناء فتبعث في قلوب اخوانه روح الغيرة الشريفة وتدفعهم الى استسهال الموت في سبيل القيام بالواجب

نرى رئيس الجمهورية في فرنسا مشلاً يسير في جنازة شهداء الواجب ولو كانوا من الجنود البسطاء . نرى الحكومة والامة تحتفلان بهم وتوليان أولادهم وزوجاتهم ويعطف الناس عليهم وينظرون اليهم بعين الاكبار والاحلال لانهم ورثة رجل عدته الامة من الشهداء والابطال

فالحكومات هناك تكافئ الناس على القيام بالواجب عليهم . أما في بلادنا التي لا تهتم بحكومتها بمن يموت فداء الواجب فطبيعي أن يحجم رجال الضبط عن بذل أرواحهم لاعتقادهم أنهم يبذلونها بلا ثمن أو مكافأة

فلو كان نظام الضبط يحاكي مثيله في تلك البلاد ولو أن الحكومة تعني باحكامه كما تعني بذلك الحكومات الراقية لوجد المجرمون في بلادنا

أن لا يخلص لهم من رجال الضبط اذا هم ارتكبوا أى جريمة مهما احتاطوا وتدبروا في اخفاء معالمها . ولكننا بكل أسف محرومون من مثل ذلك النظام ولذلك استهزأ الاشرار بأوامر الحكومة وقتل في قلوبهم هيبتها وعجزت الادارة عن مطاردتهم وكبح جماحهم فاضطرت الحكومة الى وضع ذلك القانون العرفي الذي تخجل الحكومات الراقية من أن تضع مثله وهو قانون النفي الاداري

لا أريد أن أشرح قانون النفي الاداري فهو معروف مشهور . ولكني أقول أن التجاء الحكومة الى مثل هذا القانون يدل دلالة صريحة على أنها عجزت عن مقاومة جيش المجرمين بالوسائل القانونية المتبعة في أرق البلاد عجزت عن ضبطهم وتقديمهم للقضاء وإثبات التهمة عليهم فافلتوا من العقاب واستهانوا بقوتها فاضطرت الى أن تلجأ الى طريقة لا تحتاج الى عناء أو كفاءة أو مهارة وهي أن تأتي بمن اشتهر عنهم اعتياد الاجرام وتنفيذهم نقيماً ادارياً فتستريح منهم . ولكن يظهر أنها لم تفكر في أنها ربما تأخذ أبرياء بهذا القانون أو على الاقل تنفي قوماً لا يستحقون عدلاً أن ينفوا من بلادهم فتكون بذلك قد ظلمت الكثيرين من حيث أرادت مطاردة الاشقياء والمجرمين . ولم تفكر كذلك في ماذا تكون نتيجة عودة المجرمين المنفيين من منفاهم بعد أن يكونوا قد قضوا مدة النفي والقوا المعيشة في المنفى ولم يعودوا يهابون أن ينفوا من جديد . هل تنفيذهم بمجرد دعوتهم أم تستعمل طريقة أخرى لاذلالهم . وما هي تلك الطريقة ؟ كل هذه الامور لم تفكر فيها الحكومة عند شروعها في الالتجاء الى النفي الاداري . ولذلك لا يمكننا

أن نعتبره دواء نافعا لمقاومة المجرمين بل هي تجربة يجب أن نحسب حسابا كبيرا لعواقبها الوخيمة

الجمهور في أوروبا

(ومساعدة الحكومة في ضبط الجرائم)

تكلمنا عن نظام الضبط وتأثيره في محاربة الاشرار ولابد لنا من الكلام على عامل كامن في اخلاق الجمهور في أوروبا له فضل كبير في محاربة جيش المجرمين وهو شعور الجمهور هناك بواجب مساعدته للحكومة في ضبط الجرائم واكتشاف أسرارها. فكل فرد يعلم أنه مطالب بان يرشد الحكومة ويساعدها بقدر استطاعته على معاقبة المجرمين. فكم من الجرائم تكتشف بفضل ارشاد رجل بسيط من الاهالي لرجال الضبط الى سر من أسرار الجريمة وكم قبض على أشقي المجرمين بفضل مساعدة الاهالي البسطاء لحكومتهم على ضبطهم. أما الحال في بلادنا فعلى النقيض من ذلك : يقتل الرجل أو يرتكب جريمة فظيمة فقلما يهتم الافراد بارشاد رجال الضبط الى ما يساعدهم في مهمتهم وكثيرا ما تضعيع معالم الجرائم بسبب ذلك ولكن ما سبب اهمال الجمهور في بلادنا لذلك الواجب ؟ يظن بعض الباحثين في هذا الموضوع أن اللوم في هذا الاهمال راجع الى الجمهور وجهله ولكنني أظن أن هناك سببا أقوى وهو نظام الحكومة نفسه

الحكومات الدستورية لا تجعل الامة بمعزل عن أعمالها وتصرفاتها في ادارة شؤون البلاد. بل يقضى عليها النظام الدستوري بأن تترك السلطة

في يد الامة وتقتصر مهمتها على تنفيذ رغباتها التي تنجلي في قرارات مجلس النواب. فكل فرد هناك يشعر بان له جزءا من تلك السلطة القوية التامة التي في يد الامة وهذا الشعور يؤدي بطبيعة الحال الى شعور آخر وهو الشعور بالمسؤولية. فالفرد في البلاد الدستورية يحس ويشعر بأن عليه جزءا من مسؤولية ادارة شؤون بلاده واستئباب الأمن وانتظام الاحوال فيها لانه هو الذي يدير مع مواطنيه ادارة تلك الشؤون العامة

فمساعدة الجمهور للحكومات في تلك البلاد الدستورية راجع الى الشعور العام بتلك المسؤولية أما في البلاد ذات الحكومات الاستبدادية فالجمهور بمعزل تام عن سياسة الحكومة وكل فرد من أفرادها لا يحس بتلك السلطة القومية التي يحس بها الفرد في البلاد الدستورية ولا يشعر بناء على ذلك بأن عليه جزءا من مسؤولية انتظام الاحوال في البلاد

لهذا السبب يهمل الجمهور في بلادنا واجب مساعدة الحكومة على ضبط الجرائم فهو غير ملوم في هذا الاهمال بل كل اللوم واقع على الحكومة التي استبدت بالسلطة فاقدت الجمهور شعوره بواجب مساعدته للحكومة واحتملت بذلك وحدها مسؤولية اختلال الامن العام

فالفضل في مقاومة انتشار الجرائم مشترك بين الحكومة التي تعني باحكام نظام الضبط وبين الامة التي تمد يد المساعدة لحكومتها في القيام بمهمتها الشريفة

(٣)

المبحث الثالث

معاملة المجرمين

للهيئة الاجتماعية الحق في توقيع العقاب على كل من يزعمها بجريمة ارتكبها حتى يحسب الناس حساباً لعواقب الجرائم ويرتدع الميالون الى الاجرام خوفاً من العقاب . وهذا الحق المخول للهيئة الاجتماعية هو حق طبيعي لم يتناقش فيه العلماء الذين يعتمد على إجماعهم وإنما بحث العلماء في طريقة توقيع العقاب أي طريقة معاملة المجرمين الذين ثبت عليهم ارتكاب جريمة ما ولذلك وضعوا قواعد ومبادئ تبعد العقوبة عن صبغة الانتقام التي كانت سائدة في العهد القديم وتجعلها قاصرة على حماية الهيئة الاجتماعية من عبث المجرمين والاشرار وتربي من جهة أخرى الى اصلاح حالة المجرمين بالسعي في ابعادهم عن تيار التماذي في الشر والاجرام

فمن تلك المبادئ جعل للعقاب على قدر نية الفاعل لا على قدر نتيجة الفعل لأن كثيرين من الناس يأتون أعمالاً ضارة بالمجتمع ولا يكون متوفراً لديهم قصد الاضرار فادخال هؤلاء الناس في السجون ربما يؤثر في حالتهم النفسية والادبية بل ربما يضمهم الى جيش المجرمين فيزداد بذلك عدد جنوده ويزداد خطره على المجتمع

وكذلك أدخلت المذاهب الجديدة في الشرائع الجنائية قواعد ترمي الى تلك الغاية الشريفة وهي السعي في اجتذاب بعض المجرمين الى الطريق القويم مثل قاعدة إيقاف العقاب على بعض من يرتكبون الجريمة لأول مرة فقد لوحظ ان هذه القاعدة قد أفادت كثيراً في الحيلولة بين الكثيرين وبين

العودة الى ارتكاب الجرائم وكذلك قاعدة خصم جزء من المدة المحكوم بها بالحبس لمن تحسن سيرتهم في السجن حتى يكون المسجونون مدفوعين الى تحسين سلوكهم

وقد ابتكر العلماء كذلك قاعدة تجاهل ارتكاب الجريمة اذا مضت مدة طويلة على استيفاء مرتكبها لعقوبته والغرض من تناسي هذه الجريمة أن صاحبها لا يعتبر عائداً فيكافأ بهذه المنحة على حسن سلوكه مدة طويلة بعد استيفائه العقاب

أما في السجون فقد كان للمذاهب الجنائية تأثير حسن وخصوصاً مذهب لبروزو وأنصاره. فان فكرة اصلاح نفوس المحكوم عليهم كانت مرمى المشرعين في تنفيذ نظام السجون فانشأت الاصلاحيات للمجرمين الاحداث الذين خطوا وهم صغار أول خطوة في سبيل الاجرام. فبؤلا يرجى صلاحهم بادخالهم تلك المعاهد التي فيها يتربون ويتعلمون ويتمنون على صناعة يتكسبون منها بعد خروجههم من الاصلاحية. وكثيراً ما حالت الاصلاحيات بين الاحداث والتماذي في الشرور والجرائم ولولاها لخالط أولئك المساكين كبار المجرمين في السجون وانطبع نفوسهم على الآثام وانخرطوا في سلك المجرمين الذين يهددون سلام المجتمع بجرائمهم وآثامهم ثم أن المذهب الاجتماعي يجعل من مبادئه تنوع العقوبة بتنوع الظروف والاحوال التي ارتكبت فيها الجريمة. ولذلك فكر الكثيرون من أنصاره في اطلاق القاضي من قيد القانون حتى يكون حراً في توقيع العقاب على حسب الظروف والاحوال لان المشرع الذي يضع مواد القانون لا ينظر الا الى أن الجريمة في ذاتها يستحق فاعلها ذلك العقاب ولكنه لا يستطيع

أن يتنبأ بكل ما يعرض من الظروف والاحوال التي تأخذ فيها الجريمة شكلاً جديداً ليس من الاجرام في شيء. نعم أن القانون قد تنبأ ببعض تلك الظروف نوضع أواباً مخصوصة في الاعذار الشرعية التي تجعل الجريمة مباحة وفي الموانع القانونية من توقيع العقوبات. ولكن يستحيل أن يتنبأ بكل تلك الظروف كما قدمنا. مثال ذلك رجل اتهمته النيابة بالتزوير في أوراق رسمية وكل ما عمله أن حكماً بالحبس صدر على شقيق له مريض فاشفق الأخ على أخيه لما رآه لا يحتدل عذاء السجن فجاد بنفسه ليستوفي العقوبة بدلاً من شقيقه. فهذا العمل شريف لا ينكره انسان خصوصاً وإن الاخ الذي يحبس نفسه بدل أخيه لا يفعل ذلك بنية الاضرار بالنظام العام ولا بفرد من الافراد. ولكن مثل هذا الرجل اذا قدم للمحاكمة تحكم عليه المحكمة بعقوبة التزوير في الاوراق الرسمية بحجة انه زور في دفتر السجن وعيناً حاولت بعض المحاكم أن تحكم ببراءة مثل هذا المتهم وتجعل البراءة مبدأ مقررًا مستندة على ان نية التزوير مفقودة فانهم خطأوا هذا الحكم بالبراءة لمخالفته لنص القانون الذي يعتبر هذا العمل تزويراً في أوراق رسمية

فأنصار المذهب الاجتماعي يرون من الضروري اعتلاء القاضي حرية واسعة في تقدير الجرائم حتى يصدر أحكامه بناء على ما يراه أمامه من ظروف الجريمة وحالة المتهم ودرجة تأثير الحكم في نفسه . فبعد أن كان من أكبر ضمانات العدل تقييد القضاة بنصوص القانون صار فريق من العلماء يعتقدون أن هذا التقييد هو أكبر مهدد للعدل . وإن هذه الفكرة الشريفة لتذكرنا بذلك المبدأ الذي جاء به الاسلام فقد قسمت الشريعة الاسلامية الغراء

العقوبات الى قسمين الحدود وهي العقوبات الواردة في القرآن والسنة والتعازير وهي العقوبات التي يحكم بها القضاة على حسب الظروف والاحوال. فالقاضي في الشريعة الاسلامية له أن يعزر بالحبس أو بالغرامة أو بالجلد أو بالتوبيخ حسبما يراه مؤثراً في كل متهم. هذا المبدأ بعينه هو الذي يفكر فيه أنصار المذهب الاجتماعي. فما أجل هذه الحكمة! مبدأ وضعه الاسلام منذ ألف وثلاثمائة عام اتبعه المسلمون زمناً ثم حادوا عنه ونكبوا عن جادته وتعاقبت عليه السنون والاعوام وكادت تطويه الايام ويصبح في خبر كان والآن يقوم رجال في أوروبا يريدون احياءه وتقريره في الشرائع الحديثة الوضعية! ولا شك أن كل هذه العظات البالغة وغيرها هي مصداق لتلك الآية الخالدة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

العلماء الاستاذ

﴿ المسائل الاقتصادية ﴾

(في فارس)

طلبت الجرائد الفارسية وضع قانون تجارى لصيانة حقوق التجار فأصدرت الحكومة قانوناً مختصاً بالوثائق التجارية فأصبحت الآن هذه الوثائق تسداول بين الناس على النمط الأورباوى . أما المدة التى يعمل فيها البروتستو (أى الحجز لأجل نيل الحقوق) فحدد لها ٤٨ ساعة وتتم اجراءات هذا العمل أمام محكمة أهلية عرفية وفى حالة الاشكال يرفع الامر الى المحكمة التجارية .

﴿ التربية فى فارس ﴾

جاء فى جريدة الحبل المتين تحت العنوان السابق ما يأتى :

ان التربية العلمية الفنية ضرورية ولكنها لا تقى بالعرض الا اذا اضيف لها التربية الادبية . ولقد فقهت اليابان حقيقة ذلك فعملت له ولكن ماذا أعدت الفرس لنفسها ؟

لدينا كثير من القول فيما يتعلق بالكتب التى تقرأها أولادنا فى مدارسهم ان الشعراء بوجه عام لا يتكلمون فى أشعارهم الا عن الخمر أو الحب وعادة عن الاثنين معا أو يضيعون أوقاتهم فى الهجاء ولقد اختلف النثرون أثرهم حتى أصبحت جميع الكتب التى تؤلف فى هذا العصر لا تصلح مطالعاً

لتربية أبنائنا بل على النقيض من ذلك هى بؤرة المفساد ومنع للشروع ولنسر الى الامام أيضاً ونبين الضرر أينما وجد وحينما كان فالمحادثات والكلام قد صيغت أيضاً بالصفة التى صيغ الشعر والنثر بها وصار لا يخاطب الشخص أخاه الا بالعبارات البذيئة أو الخالية عن المعنى . فمن الواجب اذن اصلاح ذلك بصفة تجعل كل عبارة تصدر من الانسان تؤدى الفكرة التى يريد بها التكلم بكل وضوح وجلاء فواجب الايرانيين أن يتعلموا جميع فروع العلوم والفنون العسكرية التى تسمح لهم بالزود عن حياض بلادهم التى يهاجمها الاجنبى من كل صوب — ولا يعتمدون الا على أنفسهم فى كل حركاتهم وسكناتهم ما دامت التربية الادبية قائمة على أساس غير متين فلا رجاء من المستقبل

﴿ الجيش الايراني ﴾

نشرت جريدة الحبل المتين مشروع اصلاح للجيش الايراني بقلم أحد الفارسيين الذين خدموا فى هذا الجيش مدة طويلة ووقفوا على علله وأمراضه وهو مقيم الآن فى الهند جاء فيه ما يأتى

« من رأي أن الازمة التى فى بلاد فارس الآن ليست أكثر خطراً من أزمة فرنسا سنة ١٧٨٩ وعلى الاخص فى سنة ١٧٩٢ وسنة ١٧٩٣ ولكن فرنسيى هذا الوقت قد عملوا عوضاً عن أن يتكلموا فأخرسوا السنة العالم الخارجى لخلاص بلادهم فأحرزوا النصر المبين والفوز العظيم فليقتد بهم الفارسيون ان تنفيذ مشروع اصلاح الجيش يعوزه المال قبل كل شئ ولذلك كان من الواجب على مسلمى ايران عموماً وعلى الشعبين أصحاب الاموال خصوصاً

أن يمدوا يد المساعدة للحكومة الفارسية التي يجب عليها أن تخصص جزءاً معيناً من ميزانيتها للدفاع الوطني — الخمس مثلاً وان تؤهل أساتذة المانين أو امريكان لتدريس الجيش وتعليمه تعليماً صحيحاً . وهؤلاء الاساتذة يتقسمون يمين الطاعة للحكومة فارس واذا كانت هناك ضرورة لاحتضار قواد عظام فيكون ذلك من الاتراك

وقد مال هذا الكاتب في مقاله هذا الى النظام العسكري السويسري ذلك النظام المعقول والكفيل بصيانة الامة من عبث العابثين واعتداء العادين فهو يريد أن تكون نصف عدد الفرس الذين سنهم بين ٢٠ و ٥٠ سنة يكونون على أهبة الاستعداد وعلى ذلك يكون لدى الحكومة الفارسية ٨٠٠ ألف جندي تحت السلاح وعلى استعداد لرد غائلة أى غائل أجنبي

﴿ حق التأليف ﴾

(في الممالك العثمانية)

ان القانون الذى صدر قريباً بخصوص حق التأليف يشبه في فصوله وأبوابه قوانين الدول الاخرى التي من هذا النوع

وهذا القانون يخول للمؤلف طول حياته ولورثته من بعده مدة ثلاثين سنة (هذه المدة تخفض الى ثمانية عشرة سنة فيما يتعلق بالرسومات والخرط وما أشبه ذلك) حتى التمتع بملكية مؤلفاته الادبية والعلمية والفنية على اختلافها دون أن يستثنى منها الروايات التمثيلية والقطع الموسيقية والمقالات التي تشر في الجرائد الخ .

أما المؤلفات الخالية من الامضاء ومؤلفات من يتوفون من غير وارث واعمال السلطات المحلية فهي من الملك العام ؟ ولا يجوز لأى شخص أن يمتل

رواية دون تصريح مؤلفها . وتسجل هذه المؤلفات في نظارة المعارف بعد ايداع ثلاث نسخ من كل مؤلف من المؤلفات كما يسجل فيها أيضاً عقود بيعها ويدفع عن تسجيل المؤلف جنيه عثمانى ونصف هذه القيمة عن تسجيل عقد بيعه أما في الاقاليم فتتأط هذه المهمة بالقائمين بالاعمال عن هذه النظارة

والمدة المخولة لكل مؤلف لاتمام هذه الاجراءات فهي سنة وينطبق ذلك على مديري الصحف والنشرات الدورية فاذا مرت هذه المدة دون اتباع هذه الاجراءات يسقط حق المؤلف في ملكية تأليفه . أما مؤلفو التأليف الخالية من أسمائهم أو المهوراة بامضاء مستعار فلا يسوغ لهم التمسك بحق الملكية ما داموا مصريين على انكار أسمائهم

وتستر أى عمل لم يسبق طبعه رغماً من ارادة مؤلفه أو أصحاب الحق في ملكيته يحتم رفع الدعوى على ناشره : ومجرد تقليد النسخ وادخالها الاراضى العثمانية وعرضها للبيع يحتم عدا مصادراتها غرامته من ٢٥ الى ١٠٥ جنيه عثمانى أما الطابع على نفقته فيعاقب بالحبس من مدة لا تنقص عن اسبوع ولا تزيد عن شهرين

﴿ العلوم والجامعة ﴾

(في الاستانة)

ستدرس قريباً اللغة العربية في جامعة الاستانة وعلى ذلك تدرس طلبة المدارس العليا العثمانية تفسير القرآن والحديث هذا من الوجهة النظرية . أما من الوجهة العملية فسيقومون بعمل تجارة مختلفة كطالعة الجرائد ومحادثات وموضوعات انشائية وقد عين لذلك معلمان أحدهما للدراسة النظرية وهو الشيخ محمد المالكى من أهل تونس وآخر للدراسة العملية وهو اسماعيل

حافظ أفندي كاتب أول محكمة طرابلس الشام الشرعية

وتدرس أيضاً في هذه الجامعة العلوم الغربية وقد تخرج منها عدد عظيم
أرسل منه ارسالية الى أوروبا كما يأتي :

٩ من طلبة الحقوق لدراستها حتى يكونوا خصاصين

٦ لدراسة الطبيعة

١ للرياضة

وقد قررت مدرسة الزراعة ارسال ارسالية أخرى الى الجامعات

الاورباوية مكونة من ٩ تلاميذ من الذين تمموا دراستهم فيها

﴿ رصدخانة في أزمير ﴾

أراد سكان مدينة أزمير اقامة رصدخانة فتبرع أهل الفضل والكرم
بمبلغ ١٣٠ جنيهاً ولكن الصحف تأمل جمع ما يلزم لبنائها في القريب العاجل

﴿ الجمعية التاريخية العثمانية ﴾

(واكتشافها)

لقد توصل صنموت بك أحد مؤسسي الجمعية التاريخية بفضل إبحاثه
الى اكتشاف قبر ابراهيم مترفق الذي أدخل آلات الطباعة الى الاستانة
في القرن الثامن عشر وهذا الرجل كان مجرياً ثم اعتنق الدين الحنيف
وتوفي بالاستانة

وقد مر جميع عمال المطابع وبائعي الكتب من هذا الاكتشاف
فانضموا الى القائمين بعمل تمثال لهذا الرجل . والجمعية التاريخية تواصل
البحث الآن لاكتشاف مطبعة هذا الرجل العظيم في ضواحي سكوتاري

(الحياة العسكرية)

« في الترك »

بينما كان ثلاثة من الالبانيين يقيمون في سلونيك وصل اليهم تلغراف
يدعوهم الى الانخراط في سلك الجندية كما يحتم القانون عليهم ذلك فارسلت
ام أحدهم التلغراف الآتي لابنها
« ابني العزيز

ان حظك في أن تكون جندياً فان كان لديك ذرة من الضمير فقدر
الواجب الاقدس وأحب الدفاع عن الوطن حق قدره فما أسعدك وما
أشقاني ! ما أسعدك بسنوح الفرصة لك وما أشقاني بزوالها عني
فبمجرد وصول اشارتي البرقية هذه اليك اذهب الى قائد سلونيك
وارج منه أن يخبرني تلغرافيا بانخراطك في الجيش المظفر «
وما مضى زمن قصير عقب استلام هذه الاشارة البرقية حتى قدم هذا
الشاب نفسه الى القائد وأخبره بالحادثة

﴿ الجرائد في آسيا الصغرى ﴾

يوجد في سوريا جريدة المقتبس والمصر الجديد والشعب والراوى
وحمص والقدس والنفير والراغب ولسان الحال والمرج وجراب الكردي
ولسان الشرق والاخاء والكرمدل والطيب الامين والبردونى والانصاف
والنجاه والرقيب والرباض والرضاء

(جامعة جديدة)

« في الهند الهولندية »

تألقت جمعية هندية علمية في جزيرة بتافيا الغرض منها انشاء جامعة

علمية لسد عوز أهالي تلك الجهة الى العلوم الحديثة وقد جمعت أموالاً كثيرة للوصول الى هذه الغاية الشريفة وستلقى فيها الدروس على النمط الإوروبى

﴿ الشيخ محمد تقى الفارسى ﴾

كتب الشيخ محمد تقى الى جريدة الحبل المتين الفارسية مقالاً جاء فيه انه يرى الدين بوجه عام والدين الاسلامي بوجه خاص شرطاً من الشروط الاساسية للحضارة والتقدم كما انه لا يجهل فوائد الطرق الاخرى التي تساعد مساعدة كبرى في احراز فلاح الامم ونجاحها وهو يرى لحال ايران من حيث الفقر من الرجال المتعلمين القادرين على السير بالامة الفارسية الى مدارج السعادة وهو يميل الى تعيين رجال من الاجانب لتنظيم المحاكم والمالية والشرطة على شريطة أن لا يكون انجليز أو روس وذلك بينما ترسل الحكومة الفارسية أبنائها الى أوروبا لتلقى العلم الصحيح في جامعاتها وان تهتم الحكومة بإبعاد العميون الذين ترسلهم الدول المعادية لها لاستكشاف ما يتم في تلك البلاد وما يجب أن يتم فيها

وهناك اصلاح آخر يجب أن يتم وهو انشاء مجلس شيوخ ضرورى لتوازن القوى السياسية الفارسية ولكن من الواجب أن لا يكون هذا المجلس من عناصر ارجاعية لا تدافع الا عن مصالح الاشراف ولا تناض الا عن منافعهم كما يحصل ذلك في البلاد الاجنبية

﴿ الحزب الاشتراكي الديموقراطى الفارسى ﴾

وزع الحزب الاشتراكي الديموقراطى الفارسى منشوراً على الامسة الفارسية ذكر فيه الخدمات الجليلة التي قدمها للبلاد الفارسية حينما قاوم الشاه

المخلوع — محمد علي جلاد الفرس — ودفاعه عن توريس في وقت كانت راية الاستبداد تخفق فوق جميع البلدان الفارسية ومحبو الحرية غارقين في بحور البأس والقنوط وانه لم يحسد قيد أئمة عن الخطة التي رسمها لنفسه من هذا الحين وقد تساءل هذا الحزب في منشوره عن الاعمال التي قام بها القابضون على أزمة الامور أو الذين يطمحون الى القبض عليها

ان الخطر الخارجي ما زال محدقاً بالفرس وجيرانهم يريدون الانقضاض عليهم لاستئصالهم من الوجود فاذا ما أتيح لهم ذلك عقت آثار الحرية في فارس ماذا يقولون عن العوائد السياسية ؟ لقد أسست اللجان وأنشئت الاحزاب المختلفة وبينهم حزب « عباد الذهب » الذين يرمون ارضاء شهواتهم ومنافعهم الشخصية ويبدرون بذور الشقاق ويمنعون اتمام كل عمل صالح للبلاد ان الحزب الاسترالى الديموقراطى لا يشبه هذه الاحزاب في شيء اذ لا غرض له الا الصالح العام ولا غاية له الا العدالة والحرية والآخاء والدفاع عن الوطن والاسلام لانه لا يضم بين صفوفه الا حملة القلوب القوية واصم العالية ولذلك فانه يلجأ في مساعدته الى وطنى الايرانيين وهو واثق من مساعدتهم له

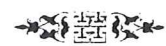
« دعوة الفارسيين لمسلمي الهند ﴾

نشرت جريدة الحبل المتين دعوة لمسلمي الهند نأتى هنا على خلاصتها « ان أهم المسائل التي نوجه اليها نظركم هي مسألة السياسة الروسية التي لم يطرأ عليها أي تغيير منذ بطرس الاكبر والتي لا عرض لها سوى استئصال شأفة الاسلام والعمل على تقلص ظله الوارف من الشرق والغرب. » « ولقد علمتم الاعمال التي قامت بها روسيا حديثاً : تداخل حربى

أثم وحشية ارتكبتها الجيش الروسي . احتلال دون مسوغ . حماية اللص
رحيم خان . دسائس تدبر لسقوط الحكم الدستوري الذي يتضمن العيث
بالحرية ذلك الحكم الذي ينطبق تمام الانطباق على الشريعة الاسلامية »
« ان انجلترا التي يعتبرها العالم منبع الحرية قد تحالفت مع الروس .
ولقد أصبحت ايران غنيمة هاتين الدولتين ثمنا لهذه المعاهدة . فماذا يحصل
اذا تم ذلك ؟ ان جميع المسلمين متضامنون وعلى الاخص مسلموا الفرس
والهند وعلى ذلك يصيحون وهم محرومون من وطن يأويهم وهواء ينعشهم
وماء يرويههم كما هي حالة اليهود اليوم . ان نتيجة هدم عروش دولة اسلامية
لهي من أسوأ النتائج على الاسلام »

فما واجب السبعين مليون مسلم الذين يقطنون اخذ ؟

ايتورون ؟ كلا . ايساعدون الفارسيين مالياً ويقدمون لهم الاسلحة ؟
كلا كلا . يجب أن يحتجوا احتجاجاً قويا لدى الحكومة الانجليزية ويحضونها
على عدم اتباع سياسة منافية للحرية والعدالة ان السنيين والشيعة اخوان
وكل من المذهبيين يبغيض التخاذل والتناز والشفقة فليدافعوا اذن عن الحق
فيعلمهم هذا يدافع كل منهم عن حقه



استبشروا في حجة الله

حضرة الاستاذ الفاضل منشي الهداية الفراء

نرجو منكم الاجابة على الاسئلة الآتية في مجلتكم ولكم الفضل وهي :

﴿الالفاظ المعربة في القرآن﴾

(١) ماهي الالفاظ المعربة في القرآن التي انزلت بالاعجمية وعربها العرب ؟

(٢) ﴿تأثير الحسد﴾ - هل الحسد حقيقي وكيف تؤثر عين الحاسد
بمجرد النظر

(٣) ﴿فائدة الصالحات﴾ - ما هي فائدة الاعمال الصالحات اذا

كان الانسان كما كتب عليه من قديم الازل شقيا أو سعيدا

﴿تفسير آية﴾

(٤) ما هو تأويل قوله تعالى (ولكم في القصص حياة يا اولي الالباب)

نرجو من فضيلتكم الاجابة ولكم الشكر أبو هاشم علي قريط

بغزته بفراشه

(١)

﴿الهداية﴾ - ليست هناك ألفاظ نزلت بالاعجمية وعربها العرب
وانما هناك ألفاظ أعجمية جاءت في القرآن الكريم معربة على النحو الذي كان
ينتجيه العرب في صقل الكلمات الاعجمية وردّها الى أوزان لغتهم فقد كانت
عادتهم اذا اخذوا كلمة من لغة غير لغتهم ان يشذبوها ويصلحوها بالحذف
والاببدال حتى تصير كأنها من لغتهم . والتعريب سبب من أسباب نمو اللغة
فليس من الممكن أن تحيط لغة من اللغات مهما بلغت من السعة بمحاجات أصحابها

ومرافقتهم فهي مضطرة الى أن تستعير من غيرها الالفاظ التي تحتاج اليها. والمعربات في القرآن الكريم صنفان أحدهما عربي العرب في الجاهلية ثم جاء به القرآن الكريم كالابريق فإنه قد استعمل قبل الاسلام في شعر عدى بن زيد اذ يقول ودعوا بالصبح يوماً فجاءت * قينة في عينيها ابريق الثاني ما لم يسبق استعماله في الجاهلية وانما ابتكر القرآن الكريم تعريبه كالاستبرق والمشكاة وفي كتاب الله ألفاظ كثيرة عربت من اللغات الاخرى كالفارسية والهندية واللاتينية والحبشية والعبرانية وقد بلغ بها السيوطي أكثر من مائة

(٢)

يراد بالحسد معنيان أحدهما لغوي وهو الحسد المذكور في الأخلاق وذلك أن يتمنى الانسان لغيره زوال النعمة وهذا شر ذمه القرآن الكريم ومقتنه الحكمة لانه يلهي عن العمل وينتج في الهيئة الاجتماعية نتائج سيئة. الثاني ما يعرفه العامة بالعين وهو أن يؤثر الانسان في انسان مثله تأثيراً سيئاً بالنظر اليه والتحديق فيه وهذا النوع موجود لا تتمعه أصول العلم والدين فان مما قرره أهل العلم أن للقوى في هذا العالم تأثيراً في الضعيف وعلى هذه القاعدة ينطبق ما يسمونه « التنويم المغناطيسي ». والحسد بهذا المعنى لا يبعد أن يكون شيئاً من هذا. وقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « ان العين لتدني الرجل من أكنافها والابل من أوصامها » غير أن أكثر ما يذهب اليه العامة من الغلو والمبالغة في تكبير أمر العين وتهويله مبني على

الاهوام والاباطيل

(٣)

اعلم أن الله تعالى خلق الانسان ومنحه العقل الذي جعله مناط التكليف ثم يسر له السبيل فسخر له من الجوارح ما ياتر بأمره ويفعل بإرادته التي وهبها الله اياها. منحه جميع ذلك ثم كافه بصالحات الاعمال ووعدته عليها الخير فجعلها أسباب سعادته في الحياة الدنيا وفي الآخرة وكذلك حذره الاعمال السيئة وكافه مجافاتها واتقاءها وأوعده اذا اجترح شيئاً منها العذاب والشكال جزاء وفاقاً. بيد انه تعالى تفضل فهو على نفوس عباده الذين غلبت عليهم الشقوة ألا يقنطوا من رحمة الله فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

فاذا سبق في علم الله الا زل أن فلاناً شقي فعناده انه سبق في عمله انه سيصرف نعمة ربه في غير ما خلقت له وانه سيعطل بإرادته جوارحه عن عمل ما كلف باقامته من صالحات الاعمال ولهذا كله أعد الله له من الزواجر والعقوبات الاخرية ما يطابق أثمه جزاء وفاقاً واذا سبق في علم الله أن فلاناً سعيد فعناده انه تعالى يعلم ألا أن فلاناً يستخدم عمله وإرادته ومواهبه البدنية فيما خلقت له فلا يحيد عن طريق السداد ولا يعطل جوارحه عن عمل ما في وسعها من التكليف الشرعية والآداب المعروفة ولهذا أعد له من المثوبات الجميلة في الدنيا والآخرة ما جعله تعالى ثمرة لاعماله ونتيجة لجهوده الخيرية الصالحة

تفسير هذا جمعه قوله تعالى (١) لا يكلف الله نفساً الا وسعها. وقوله (٢) لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها. وقوله (٣) لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

وقوله (١) ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم. وقوله (٢) كل امرئ بما كسب رهين وقوله (٣) ليجزى الله كل نفس ما كسبت. وقوله (٤) ووفيت كل نفس ما كسبت. وقوله (٥) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم. وأمثال ذلك في القرآن كثير جداً

(٤)

خير اجابة لهذا السؤال ما قال الامام الزمخشري رحمه الله في الكشف وهو بنصه (كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة ولم يقتل مهمل بأخيه كايب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان يقتل بالمتقول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاعتصاف من القاتل لانه اذا لم يقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع فسلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين (الهداية) حسبنا هذا الكلام البديع فانه لم يترك مثلاً لقاتل

حضرة الاستاذ الفاضل

بعد تقديم واجبات الاحترام. قال تعالى في كتابه العزيز (انى متوفيك ورافعك الى) فهل كما تقول بعض علماء التفسير أن سيدنا عيسى رفع الى السماء حياً. واذا كان كذلك فقد جعلوا لله تعالى محلاً في السماء بدليل قوله

(١) البقرة (٢) الطور (٣) ابراهيم (٤) آل عمران (٥) الشورى

ورافعك الى أو معنى رافعك الى مقربك الى رحمتي فارجو تفسير معنى هذا بما يطابق المعنى الحقيقي وارسالها باسم الباجورى ببركة السبع الباجورى

يوجب علينا الاسلام أن نعتقد من غير شك أن المسيح صلوات الله عليه لم يقتل ولم يصلب وإنما اشتبه الامر على طالييه فقتلوا وصلبوا رجلاً آخر ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم قوم منهم انه المسيح وزعم آخرون انه غيره وهذا هو نص القرآن الكريم اذ يقول «وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً»

واذا كان المسيح عليه السلام من البشر فلا عجب أن يكون قد مضت فيه سنة الله تعالى في خلقه فقبضه اليه ثم رفعه مكاناً علياً ليظهره من الذين كفروا وقد قال بهذا من أئمة المسلمين ابن عباس رضى الله عنه وروى كذلك عن محمد بن اسحاق القول بأن المسيح مات ثلاث ساعات ثم رفع وعن وهب أنه مات سبع ساعات ثم رفع الى الله تعالى ومعنى رفع المسيح الى الله الذى لا مكان له ولا مقر ان الله تعالى قد حال بينه وبين الكائدين له من أعدائه كفار اليهود وأحله المقام الرفيع اللائق بأنبيائه المصطفين الاخيار ويرى الذين ذهبوا الى هذا الرأي أن جميع ما ذهب اليه غيرهم في تفسير قوله تعالى (انى متوفيك ورافعك الى) تأويلات بعيدة عن العقل مخالفة لنظام اللغة العربية الذى جاء القرآن الكريم بأكمل صنوفه وأبداع أنواعه وبأنه منافر تماماً لما يفهم لغة وعرفا من مادة متوفيك ويستشهدون على صحة رأيهم

بقوله تعالى (١) (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) فإن الذي يفهم من هذه الآية أن المسيح توفاه الله وقبضه إليه . ولا يحسن تأويل هذا بما عسي أن يصيب المسيح في رأي أولئك من الوفاة بعد نزوله فإن نظام الآية وسياقها لا يساعد على ذلك .

والخلاصة أن الذي يوجب القرآن على كل مسلم أن يعتقد أن المسيح عليه السلام لم تقتله أعداؤه من اليهود ولم يصلبوه ولقد كان أهل الكتاب أنفسهم قبل اليوم في شك من ذلك وما اتبعوا إلا الظن وما لهم به من علم أما الرفع حياً أو بعد موت فهذا ما لا يدل عليه صريح القرآن بيد أن ظاهر آياته يدل على أن الوفاة وقعت قبل الرفع كما رأيت آنفاً

﴿سؤال في أصل اللغة العربية﴾

حضرة الفاضل وبعد فقد وقع الاختلاف بين فريق من الطلبة في موضوع هل اللغات من وضع البشر أو من وضع الاله فكان بعضهم يقول أنها من وضع الاله محتجا بقوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) وكان بعضهم يقول أنهم من وضع البشر ويأتي على ذلك بأدلة طويلة لا محل لذكرها ويؤول الآية ويقول أن معناها (أقدر آدم على أن واضع عليها) وبذلك لا تكون الآية قاطعة في أن واضع اللغات هو الله سبحانه وتعالى. لان الدليل الاول وهو

التمسك بالآية طراً عليه الاحتمال سقط به الاستدلال وحيث أننا على اختلاف في الرأي في هذا الموضوع الى الآن وبعضنا لا يدعن لرأي البعض الآخر وان هذا الموضوع مهم جداً ولا نرى من هو كفاء الفصل فيه غير حضر تكم فقد سطرنا هذا اليكم لتفيدونا بالجواب على صفحات مجلة الهداية

ونحن على هذا الوقت منتظرون الرد انتظار الظمان للماء الزلال ولحكم منا نحن الطلبة الحيارى في هذا الموضوع الشكر أفندم فريق من الطلبة

﴿الهداية﴾ - ليس الخلاف في هذا الموضوع طريقاً مستحدثاً بل هو

قديم كثر فيه النزاع بين قدماء العلماء من المسلمين وكتب فيه فريق منهم الامام الغزالي وغيره فيرى بعضهم أن اللغات وحى من الله عز وجل ويرى الآخرون أنهم من صنيع الانسان ومبتكراته والذي يهدى اليه العقل ولا يأباه الدين أن اللغة شيء من اصطلاح الانسان وتواضعه وأنها نشأت مع حاجته وارتقت مع حضارته ومدنيته فلم تكن في أول الامر إلا أصواتاً مبهمه حوكي بها ما يسمع من الاصوات الطبيعية كالحفيف والخفيف ونحوهما ولنا من الطفل دليل ساطع على ذلك فإن أول عهده باللغة أصوات معتمدة على المقاطع يحاكي بها ما يسمعه مما يدور حوله فأما قول الله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) الآية فلا يأتي هذا الرأي بل يدل عليه ذلك بأن للمفسرين فيه رأيين أحدهما أن المراد بالاسماء المسميات وهذا ظاهر لا تأباه اللغة فقد قال الله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) وهو صريح في رأينا . الثاني أن المراد بالاسماء الالفاظ أي أسماء الاجناس وبديهي أن التعليم هنا ليس الغرض منه الالهام والوحي وانما الغرض منه التمكين والاعداد للعلم بازالة الموانع فمعنى الآية أن الله عز وجل أودع الانسان مقدرة على اختراع الالفاظ وارتجال الاسماء ومنه

قول الله عز وجل (خلق الانسان علمه البيان) أي مكنه منه وأقدره عليه وكذلك قوله (علم الانسان ما لم يعلم) أي مكنه من ذلك وعلى كلا الرأيين فقد وقعت الآية الكريمة وما قبلها وما بعدها موقع التمثيل والغرض منه ارشادنا الى ما وهبنا الله من القدرة وما رفعنا اليه من المنزلة العالية والمسكنة السامية لنسعى الى بلوغ ما أعد لنا من الكمال

سيدى الفاضل.....

أرجو نشر سؤالي هذا على صفحات مجلتكم الغراء (الهداية) ولكم من الله الجزاء ومنا الشكر

إذا امتزج الماء الطاهر بماء (الكولونيا) هل يبيح لنا الشرع ازالته حدث به أم لا)

أحد أبنائكم
علي السنفطي بالمنصورة

الجواب

اعلم ان الماء متعين في ازالة الحدين الكبير والاصغر عند الجمهور ولم يقع الاجماع على ذلك في الاسلام فقد جاء في البخاري (١) أن الحسن وأبا العالية كرها الوضوء بالبنيد والمسكر وان صح عندهما وقال عطاء « التيمم أحب الى من الوضوء بالبنيد واللبن ». ومعنى هذا على ما يظهر انه يجوز الوضوء بالبنيد واللبن وان فضل التيمم عليهما

قال القسطلاني « وذهب الاوزاعي الى جواز الوضوء بالانبة كلها وهو قول عكرمة مولى ابن عباس وقبيده أبو حنيفة في المشهور عنه بنيد التمر... »

باب لا يجوز الوضوء بالبنيد ولا المسكر

وجاء في تفسير الرازي (١) الماء المتغير بالزعفران تغيراً فاحشاً لا يجوز الوضوء به وقال أبو حنيفة يجوز وحجة أبي حنيفة ان واجده واجد للماء لان الماء المتغير بالزعفران ماء موصوف بصفة معينة فأصل الماء موجود لا محالة فواجده يكون واجداً للماء اهـ

وعمدة الجمهور في تعيين الماء في الاحداث قوله تعالى « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً » فان الآية ظاهرة في انه متى وجد الماء فلا تيمم ومتى فُتد كان التيمم. ولم تزد الآية على ذلك شيئاً. والضابط الذي ينبغي الأخذ به في مسألة الماء المخلوط بغيره انه اذا ما جرى العرف باطلاق كلمة الماء عليه من غير تقييد فهو ماء طهور يرفع الاحداث فيتوضأ ويغتسل به وان زال عنه في العرف اسم الماء المطلق بل أصبح له اسم آخر كان غير طهور فلا يتوضأ ولا يغتسل به. مثال الاول ان يخالط الماء شيء من الزعفران أو الكولونيا أو ماء الورد فان الماء المخلوط بها لا يزال يطلق عليه عرفاً اسم الماء فينبغي منه دون لبس ولا ابهام ولا خطأ في الاستعمال. ومثال الثاني ان يكون الماء مخلوطاً بأوراق الشاي أو بدقيق البن أو ان يمزج بخلاصة الورد أو الرمان وهكذا فان الماء في هذه الاحوال قد زال عنه اسم الماء المطلق وأصبح يسمى قهوة أو شايًا أو شراب الورد أو شراب الرمان فمثل هذا لا يتوضأ ولا يغتسل به. هذا ما رأيته والله أعلم

حضرة الفاضل منشى الهداية الغراء

﴿ السلام عليكم ورحمة الله ﴾

أفتنا في هدايتكم لعلنا نهتدى بفتواكم عما يأتي :

فتاة بلغت الحلم ومصر على ذلك أربعة أشهر ثم طلب منها فتى أن تهب نفسها له ففعلت بقولها « انى وهبت نفسى لك هبة شرعية » وعتمها هو بالقبول وكان ذلك وهما على انفراد

فالرجاء أن ترشدنا عما اذا كانت هذه الهبة صحيحة من فتاة لم تبلغ الثامنة عشرة مع عدم وجود أحد يشهد على ذلك وهل يجوز عقد هذه الفتاة على فتى آخر ؟ والرجاء أن تذكروا كل ما استندتم عليه في أجوبتكم من الاسانيد الشرعية .

(الجواب) — لا شك في أن لفظ الهبة من الطرفين هنا يراد به الزواج فان الاسلام لا يعرف معنى لأن تهب الحرة نفسها من حزالأن تزوجه منها واذا فنقول أن هذا الزواج باطل اجماعاً اذن مما اتفق عليه أن لا يصح عقد القران الا بشهادة شاهدين على أن المسلمين قد أجابوا بعد ورود الأدلة الشرعية الكثيرة على أن الصغير والصغيرة ليس لهما أن يزوجا نفسيهما فاما بعد البلوغ فيرى بعض النكهاء للفتاة أن تزوج نفسها ويرى الآخرون ان ذلك ليس لها عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « لا نكاح الا بولي » وهو حديث صحيح لا مطعن فيه ومع ذلك فقد قال الذين أباحوا للفتاة أن تزوج نفسها بعد البلوغ أن الولي حق الاعتراض اذا كان القرين غير كفء ومن هنا يظهر أن هذا القران باطل لوجهين أولهما عدم وجود الشهود والثاني أن القران لم يكن عن رأى الولي كما هو الراجح في الشريعة وليس هناك وجه مطلقاً لتصحيحه

منصب الرسال

نكتب اليوم في هذا الموضوع لنوضح مسألتين دينيتين جهلها عامة المسلمين وغلافيهما فريق من أولئك الادعياء للدين الواغين فيه خداعا لهم وتضليلا حتى كادوا يفتنون الناس في دينهم وحتى كاد جهل أولئك وغلو هؤلاء يوردانهم من الدين اجنا ويسقيهم من صفوه رنقا ويشرفان بهم على ان يشركوا بالله عز وجل من لا يملك لهم من النفع والضر ولا من الخير والشر قليلا ولا كثيرا هاتان المسألتان هما ما هو منصب النبي صلى الله عليه وسلم . . . وما الذي يجب ان يعصم من الخطأ فيه . . . فلقد زعم أولئك الغلاة المفسدون ان النبي صلى الله عليه وسلم يجب ان يحيط علمه بكل شيء وان تؤدي الينا رسالته كل شيء وان يعصم من الخطأ في كل شيء فيتلو علينا الكتاب والحكمة ويدرس لنا اللغة والفلسفة ويعلمنا الصناعة والتجارة والزراعة وكل ما تمس اليه حاجة الانسان في أولاه واخراده وهو بكل ذلك عالم وفيه مبرز لا يسرى اليه الخطأ والظن ولا يبلغ منه الشك والوهم تعاليت اللهم وتقدس اسمائك وجلت عظمتك عن الند والشريك من امثال هذه المقالة الفاحشة التي يذيعها في العامة صفاق الوجوه وغلف القلوب في تقديس الاشخاص ورفعهم الى منزلة الاله . مني الاجتماع الانساني برذيلتين قبيحتين هما مصدر الشرور والآثام احدهما رذيلة الاشراك بالله والثانية رذيلة الاستبداد في الملك فانك مهما اضنيت نفسك في البحث والتنقيب لم تجد علة لا تميز فرد من الناس بالالوهية أو الملك الاستبدادي الا ما يتحمله له أولئك الغلاة الجاحدون من الصفات والالقاب التي هي بالله عز وجل أحق منها بمن أصله الماء والطين

فنحن اذا شرحنا اليوم هاتين المسألتين وبيننا العقيدة الاسلامية فيهما

ودعونا المسامحين الى الاستمسك بأسبابها القوية وعراها المتينة فانما ندعوم الى
ماندبهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان بان لا سلطان الا لله وحده
وان لا شريك للامة بعد الله في حقوقها .

قضت ارادة الله عز وجل ان يخلق الانسان مجتمعا مدنيا بالطبع مستعدا
للرق والسيادة على هذا العالم وما فيه وان يسلك هذه الحياة الدنيا طريقا الى
حياة أخرى فيها الكمال التام والسعادة الدائمة وقد علم سبحانه ان هذه الحياة
طريق مظلمة قائمة فوهب الانسان العقل وهو قبس من نوره عز اسمه
ليهديه قصد السبيل ويرشده الى الصراط المستقيم يتعرف به مصالحه ويتبين
به منافعه في هذه الحياة الدنيا حتى يستقيم فيها أمره وتنظم أحواله وعلم أيضا
ان هذا المخلوق الضعيف لا ينال ذلك الا بتجديده والاذعان له والاهتداء
بهديه وان هذا العقل أقصر من ان يكفل له تعرف المصالح الاخرى والمنافع
الدينية على أكمل وجه وأحسنه فوهبه عقلا آخر هو الرسل الذين والاهم
الله عز وجل في الامم وتابع بينهم في اجيال البشر .

هذا شيء لا يشك فيه ذممة ولا يمتري فيه صاحب دين ومنه نعلم علم
اليقين ان عمل الرسل صلوات الله عليهم انما هو هداية الناس في دينهم وتمهيد
الامور في حياتهم العامة لينتسبوا منها آمنين الى الدار الاخرى لكيلا تكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وقد علم سبحانه ان هذا لا يكون الا اذا كان
المبلغون عنه بحيث يستطيعون ان يفهموا الناس دعوته ويشرحوا لهم رسالته
ويقيموا عليهم حجته فاختر من كل أمة رسوله اليها

بذلك مضت سنة الله في الاولين حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم
ليتم للناس دينه ويكمل لهم شريعته فادى الامانة وبلغ الرسالة وأوضح الحجة

وأقام الدليل ثم اختار له الله ما عنده فمضى الى دار النعيم

فاذا كان هذا هو عمل الرسل وتلك هي حكمة الله في ارسالهم فلا شك في
ان العقل يحزم بانه تجب لهم العصمة من الخطأ والكذب فيما يبلغونه عن الله سبحانه
وتعالى حتى تكون دعوتهم حقا لا يشوبه باطل ويقينا لا مجال للشك فيه

بهذا يحزم العقل ولا يزيد عليه شيئا فانت تري ان عصمتهم محدودة عقلا
بحدود الوحي وان العقل لا يوجب لهم العصمة في غير ذلك فهو لا يوجب
عليهم ان يكونوا أطباء أو فلكيين أو رياضيين لأنهم لم يبعثوا ليكونوا
كذلك وانما بعثوا ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن آمن بالله أو كفر به فاما
في غير ذلك فليس بينهم وبين غيرهم من الناس فرق قليل ولا كثير

فاما العلوم والحرف وغيرهما من أمور الدنيا فانما السبيل اليها سعى العقل
وكده لان الله عز وجل لم يهبنا العقل عبثا ولم يخلقنا لنا من غير حكمة ولو كان
من عمل الرسل ان يرشدونا الى كل ما نحتاج اليه في هذه الحياة ما كان
للعقل فائدة ولا تثبت في خلقه حكمة والله عز وجل مبرأ من العبث في
أفعاله وليس ذلك انتحالا منا أو اختلاقا بل هو ما ذهب اليه أئمة المسلمين
وجمهورهم فانهم لم يقرروا العصمة للانبياء الا من تعمد الكذب فيادات المعجزة
على صدقهم فيه كدعوى الرساله وما يبلغونه عن الله وقد اجازوا عليهم الكذب
سهوا وان خالف في ذلك بعضهم وقرروا لهم العصمة من الكبيرة والكفر
بعد الوحي وان خالف في ذلك الخوارج على ان أهل السنة لم يعصموهم من
الكبيرة الاسما واما عقلا فقد اجازوها ولهم في كل ذلك قبل الوحي خلاف
كثير فمن شاء فليرجع اليه في كتب الكلام واذا كان مبالغ ما أوجبه العقل
واتفق عليه أئمة المسامحين هو عصمة الانبياء من تعمد الكذب فيما دلت

المعجزة على أنهم صادقون فيه ومن الكفر والكبرية بعد الوحي وإذا كان
العقل لا يهدي إلى أكثر من ذلك فمن أين نتحل للأنبياء أن يحيطوا بكل
شيء علما وليس هذا كل ما نقوله في هذا الموضوع بل كثير من أئمة
المسلمين في الكلام وأصول الفقه قد جوزوا على النبي صلى الله عليه وسلم
أن يجتهد في الأحكام قبل نزول الوحي وأن يخطئ في اجتهاده قالوا وقد وقع
ذلك بالفعل ودل عليه كثير من آيات الكتاب الكريم كقوله عز وجل
(ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة الخ) وأصل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه
أبا بكر وعمر في أسرى بدر فاشأوا أبو بكر باخذ الفدية لأنهم العشيرة الأقربون
وأشار عمر بقتلهم ومال النبي صلى الله عليه وسلم إلى قول أبي بكر فعاتبه الله
في ذلك بالآية

هذا حديث رواه مسلم وقصة ذكرها المؤرخون بلفظ أطول من هذا
نقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما عن الخطأ في كل شيء
ناطقا بالصواب والحق في كل شيء ما جاز له أن يجتهد ولا أن يستشير لأنّه
لا يخفى عليه الحق وليس فوق رأيه رأي ولا وقع منه خطأ لكن كل ذلك قد كان
وإذا لم يكف هذا لاقناع المعاندين المكابرين فإن في قوله عز وجل
(وشاورهم في الأمر) ما يقطع السنة المبطلين ويحطم أقلام المضلين فقد علم
الله أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر يخطئ ويصيب وأن العصمة التامة له وحده
وإن رأى الجماعة إذا لم ينزل الوحي أقرب من رأيه صلى الله عليه وسلم إلى
الحق فامر به بالشورى وعرف النبي من نفسه ذلك فآتمر وكثيرا ما كان يشاور
أصحابه في المسائل الخاصة والعامة ويمضي براءهم إلا أن ينزل الوحي وفي صحيح

البخارى أنه صلى الله عليه وسلم استشار عليا وإسماعيل بن زيد في أمر الإفك
وعمل برأى إسماعيل حتى نزل الوحي بخلاف القاذفين وفي صحيح البخارى أيضا
أنه صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في الخروج إلى أحد فاشأوا عليه به
فلما لبس لأمته واستعد للخروج أشاروا عليه بالمقام فإني أئتماراً بقوله عز وجل
فاذا عزمت فتوكل على الله وقال لأصحابه لا ينبغي لشيء يلبس لأمته فيضعها
حتى يحكم الله وقد عقد البخارى بابا في صحيحه لما سئل عنه النبي صلى الله عليه
وسلم قبل الوحي فسكت أو قال لا أدري وقد روى في سكوته أحاديث كثيرة
منها حديث ابن مسعود بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب
المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه
عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيئ فيه شيء تكرر هونه فقال بعضهم
لنسأله فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت أنه يوحى
إليه فقامت فلما أنجلي عنه قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

وصح على غير شرط البخارى أحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه
وسلم سئل فقال لا أدري منها إن رجلا سأله أى البقاع أحسن فقال لا أدري
(راجع شرح البخارى لابن حجر والقسطلانى) ومن قرأ أخبار المغازى في
كتب الحديث والسير عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يشاور
أصحابه في أمور الحرب ويعمل براءهم وفي قصة بدر من ذلك ما ينفع الغله وقد
صح في غير واحد من كتب السنة قوله صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم بأمور

دنيا كم وقوله ما كان من أمر دينكم فإلى وما كان من أمر دنياكم فإني أعلم (١)

وقد عرف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منه ميلا إلى المشورة فكانوا يسألونه إذا هم بشيء أوحى هو أم رأى فإذا كان رأى أشاروا عليه فاستمع لهم (راجع قصة بدر)

كل هذه أدلة ظاهرة لا يشوبها الشك ولا ينال منها الظن عند أي إنسان إلا إذا كفر بالله وحججه كتابه وكلامه يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن معصوما عن الخطأ إلا فيما يبلغ عن الله عز وجل وأنه صلى الله عليه وسلم علم ذلك فوكل إلى الناس أمور دنياهم وإن الله عز وجل علم ذلك فأمره بالمشاورة ولعل لقائل أن يقول إن هذا يضع من قدر النبي ويغض منه فنقول كلا وإنما الغلو في تقدسه وتمجيده والزيادة في ذلك على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله هو الذي يحيط قدره لأنه كذب عليه وافترأ على الله وأى شيء أحبط لقدر الإنسان من مدحه بما ليس فيه وقد قال الله عز وجل (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم الله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فلم يجعل للنبي على الناس فضلا إلا بالوحي والرسالة وحسبك بذلك نعمة ليس فوقها مطمع لإنسان

والآن وقد أطلنا في القول في غير ملل وبلغنا ما نريده من إثبات ما ادعينا به يجب أن نقف عند هذا الحد وأنا أترجو أن يكون في هذا القول هداية للضالين وإرشاد للجاهلين

طه حسين

(١) راجع صحيح مسلم

(تفسير جزء تبارك)

الفاضل المغربي

(سورة الملك)

(٣)

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنْسِكُنَ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

كان المشركون يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ارتيابا بقوله واستحقاقا بما كان يوعدهم به . فكانت الآيات تنزل تترى في الاحتجاج عليهم . وتسفيه آرائهم وحضهم على التصديق . وتخويفهم العذاب إن هم أصروا وكابروا . وقد كان معظم السبب في إصرارهم ونكولهم ظنهم أن لا شيء مما أوعدوا به يمكن أن يصيبهم . فاحتج عليهم سبحانه بما صنع بالأمم التي كانت قبلهم . وقد كذبت . فأهلكها . ثم أخذ في هذه الآية والتي تليها ينبيه المشركين إلى شمول قدرته ويدعوهم إلى التفكير بأنه تعالى قادر بذاته على إلحاق العذاب بهم . فإن من عجائب قدرته ما يروونه في كل وقت وأن من تخليق الطيور فوق رؤسهم واستعلامها في طبقات الهواء . مع أنها أجسام ضخمة كان من مقتضى النواميس الظاهرة للمادة أن تسقط على الأرض . ولكنه تعالى بقدرته وعجيبة حكمته . خالف في أجسام الطيور نواميس سائر الأجسام ذات الثقل

وهي لها نواويس أخرى لا ثقة بها . بحيث تتمكنها من التحليق والاستلقاء
في الهواء من دون أن تسقط . من فعل هذا ؟ ومن أمسك هذه الاجرام
الثقيلة ومنعها من السقوط ؟

وما أمسكها الا الرحمن الذي رحم هذه الحيونات فيسر لها من وسائل
الطيران والانتقال . بسهولة من مكان الى مكان . ما حفظ به نوعها . وانتظمت
معها معيشتها . واستمرت عليه حياتها . ولا بدع فهو تعالى بصير يعطى كل
شيء من مخلوقاته القوى والسنن اللازمة له . والمتوقف عليها بقاؤه .

وقد ذكر علماء العصر أن أكبر الطيور العائشة اليوم على وجه
البيسطة طير يسمى «الكندر» ثقله سبعة عشر رطلا . والبعد بين طرفي
جناحيه اذا صفهما أى بسطهما عشر أقدام

والقصد من هذه الآية تنبيه المكدنين الى باهر قدرته تعالى
وأن من له هذا التدبير العجيب في تكوين خلقه الطير ولا يعجزه أمرهم
ولا يفوته باوغل ما يريد من ازال العذاب بهم

بقي هنا شيء : وهو لماذا قال تعالى (صافات ويقبضن) ولم يقل (صافات
قابضات) أو (يصففن ويقبضن) ؟ أى لماذا عبر عن الصف بالاسم وعن
القبض بالفعل ؟ صف الطائر أى بسط جناحيه في الهواء حالة الطيران .
وقبضهما اذا ضمهما وضرب بهما جنبه . والاصل الذي يساعد الطير على
الطيران انما هو الصف أى بسط الجناحين . واذا ضمها أحيانا عاد فبسطهما
للحال . فهو لا يمكنه أن يبقى قابضا لهما وطائرا في آن واحد . على عكس
البسط فانه يبقى ملازما له ساعات كثيرة . فما كان الاصل في الطيران وهو
الصف جيء به على صيغة الاسم فتيل صافات . لأفادة ان الصف هو شأن

الطيور التي تثبت عليه . وصيغة اسم الفاعل تقيد الدوام والاستمرار .

ولكن في بعض الاحيان يطراً على الفليور وهي طائرة ما يدعونها الى
قبض أجنحتها اذ أن القبض مما تستظهر به على البسط ويساعدها على التحرك
والسرعة في الطيران . ولذلك أى لما كان القبض أمراً طارئاً وعرضياً في
الطيران جيء به في الآية بلفظ الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والتكرار
فقليل يقبضن . ويكون مؤدى الكلام هكذا :

ان الطيور صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة .

وعندى أن النكتة في التعبير عن القبض بفعل المضارع تصوير الحالة
تجاه ذهن المخاطبين وزيادة تعجبهم منها : فأننا لما قلنا لهم انظروا الى الطير
صافات عجبوا من أمرها . ثم لحف العجب حينما يقع في نفوسهم أنها عند
صف أجنحتها وبسطها يكون قد دعمها الهواء من تحتها كما يدعم الاجسام
المنتشرة المنبسطة فيه . فاذا نبهناهم الى أن الطير يقبض أجنحته أحيانا في أثناء
الطيران ولا يقع نكوت زدن في عجبهم . وهنجا من دهشتهم . والفعل المضارع
بما فيه من التجدد والحدوث والزمن يساعد على تصوير حالة القبض واحضارها
في ذهن المخاطب أكثر من الاسم . يعرف ذلك من تقطن لأساليب
العرب وتأمل في منا جى كلامهم .

هذا وان طيران الطير ما زال من المشكلات التي لم يحلها العلم الحديث على
طول بابه في الاكتشافات والوقوف على أسرار الطبيعة . وقد عدوا من
أبعد الأموز عن التعلل استمرار الطيور طائرة وأجنحتها مصفوفة موازية
للأفق وهي لا تتحرك . وقد أعلن بعض علماء أوربا منذ بصع سنين أنه
اكتشف الناموس الذي به يتمكن الطائر من الطيران . لكنه لم ينشر

فصيل ما عرفه من أمر هذا الناموس . غير أن العلماء اتفقوا على أن السبب في استمرار الطيور طائفة يرجع الى تقعر أجنحتها وتحديثها وكونها غير مسطحة . وعلى أساس هذه النظرية بدأ النجاح في طيران الانسان . وأخذ الطيارون يضعون أجنحة طياراتهم على أوضاع وأشكال تحكي ما في أجنحة الطيور من الأوضاع والأشكال .

ذكرنا القارئ بطيران الانسان . وربما خطر في باله أن طيران الطيور لم يعد موضعاً للعجب ولا دلالة فيه على القدرة الالهية التي أراد الله الاحتجاج بها على المشركين . ولكني أقول : أن طيران الانسان في الواقع وتعمق الامر أكثر دلالة على قدرته تعالى من طيران الطير . ولو كان الانسان قد اهتدى في عصر النبوة الى مسألة الطيران في جو السماء . لكان تعالى عجب المشركين من أمره كما عجبهم من سير الفلك على وجه الماء . اذ عده نعمة على البشر كبرى . وآية على قدرة الله عظمى . ولعمري انه لا فرق بين طيران الطير وطيران الانسان في أن كلا منهما أثر من آثار قدرة الله . وعجيب صنعته في خلقه . طار الطائر بقوى ونواميس مؤدعة في تركيب جسمه . وهذه القوى والنواميس من الله .

وطار الانسان بقوى عقله وعلمه وبخشه وملاحظته وصبره وثباته . وبنواميس المادة وخصائصها التي استخدمها في الوصول الى صنع طياراته . وكل هذه القوى والنواميس لم يأت بها الانسان الطيار من بيت أبيه وجدته . ولا من عالم آخر غير عالمنا . مخلوق لآله آخر غير الهنا . وإنما كل تلك النواميس والقوى نعمة من الله . وفيض من روح الله . آمناً بالله . وما أنزل علينا من عند الله .

(آمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور) آمّن هذا الذي يرزقكم إن أنسك رزقه بل لجوا في غرور وثقور) هذا الكلام مقابل لقوله قبله (أو لم ير الى الطير فوقهم صافات) كأنه يقول : أو لم ينظر المكذبون الى عجيب صنع الله في خلق الطير فيعترفوا مبلغ قدرته تعالى على انزال العذاب بهم . أم أنهم تعاملوا عن ذلك اعتداداً بأن لهم من غير الله قوة تحييمهم ان أراد الله اهلاكهم وترزقهم ان أمسك رزقه عنهم .

فالقوة الحامية لهم في زعمهم هي جندهم وسلاحهم . والقوة الرازقة هي آلهتهم وأصنامهم . وهذا هو شأن المشركين في زمن البعثة : فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خوفهم البطشة الكبرى ذكر واهله من منعتهم . ونضره جندهم . واذا حذرهم القحط وأنه تعالى قادر على أن يجبس عنهم المطر . ويمنع وسائل الرزق . أظهروا الاستغناء وأن أصنامهم تقدم حين الحاجة من صنوف الرزق بما شاءوا . فوبخهم الله على الأمرين . وأبطل لهم كلا الزعمين : فلا الاعوان الذين لديهم بقادريين على أن يحموهم . اذا أراد الله اهلاكهم . ولا الأوثان التي يعبدونها بالتي تستطيع أن ترزقهم اذا أراد الله امساك الرزق عنهم والاشارة الى « الجند » في الآية الاولى والى الاوثان في الآية الثانية — بكلمة هذا الدالة على القرب مما يفيد في هذا المقام تحقير المار اليهم وانحطاط شأنهم . كما أن التعبير باسم الاشارة الذي يدل على البعد مثل ذلك الكتاب لا ريب فيه يفيد التعظيم . ورفعة الشأن .

« الجند » العسكر والاعوان : معناه جمع . ولنظفه مفرد . وقوله في صفة « ينصركم » مراعى فيه جانب اللفظ .

كِبَّةً على وجهه صرعه وقلبه . والرجل الذي انقلب يقال عنه انه قد
أكب بالهزمة . فالمكب اذن هو الذي يتخلل مشيه عثارٌ وسقوطٌ من
وقت الى آخر إما لضعف بصره أو لوعورة الطريق . وعكسه « السوي »
وهو الذي يمشى مستوياً القامة ثابت الرجل . و « أهدي » افعل تفضيل
أى أشد هداية وأقرب وصولاً الى الطيبة التي يندرجها

والكلام تمثيل لحالة أولئك الذين وصفهم بالعتو والنفور في الآية
السابقة . ثم مقارنتهم بالمؤمنين الذين أذعنوا للحق والذي مهد لهذا التمثيل ذكر
التمرد والنفور . فان العاتى القبيد اذا تمخض الشيطان في أفعه فتمرد وتفر ضل
وعمي عن القصد فيأخذ في أن يعتسف الطريق اعتسافاً

وهكذا كان شأن المشركين . فقد كانوا كالماشى الذي يقع على وجهه
في كل خطوة يخطوها . أما المسلمون فكانوا كالذى يمشى مرفوع الرأس
منتصب القامة ثابت القدم في طريق لا حجب . لا صخور فيه ولا عواثر
فأى القبلين أشد هدى وأنجح سدى ؟

(قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً
ما تشكرون)

اذا كان حال المشركين على ما وصفنا من الضلالة عن القصد والاعتساف
عن طريق الحق كانوا ولا ريب ماومين أشد اللوم : وذلك لانه تعالى
خلق لهم الحواس والمشاعر . ومتعمهم بالعقل . ويسر لهم أسباب النجاة .
ووسائل الهداية . فلم ينتفعوا بشيء من ذلك . ولم يشكروا الله على هذه
الوسائل وتلك الأسباب فيستعملوها فيما خلقت لأجله . بل ضلوا وحادوا
عن طريق الهدى الى طريق الردى

وكلمة « دون » مقابلة في الاصل عن « دنو » ومعناه القرب . ثم
استعملت في المكان القريب

ومن هو في مكان قريب منك كان بالضرورة مغايراً لك . ومن ثمة
كثر استعمال « دون » بمعنى « غير » : فمعنى « من ينصركم من دون الله »
من يقدر ان ينصركم نصراً واصلاً إليكم من غير الله ؟

ويمكن أن ندع « دون » على معناها الاصل وهو المكان القريب .
ويكون حل المعنى على هذه الصورة : من يمكنه أن يمدكم بالنصر من مكان
قريب من الله ؟

ولا ريب أن كل الامكنة قريبة منه تعالى أى انه تعالى عالم بالامكنة
وبمن حل فيها . وليس قربه منها كتقارب بعض الاجسام من بعض
فبكل أحد اذن عاجز عن نصرة المشركين : لأن الله ناظر اى من
ينصرهم عن كسب متمكن من قهره والأخذ بناصيته .

والاستفهام في الآية الاولى ينتهى عند قوله (الرحمن) وقوله (ان
الكافرون الا في غرور) بمنزلة الجواب أى لا جند لهم في الواقع ونفس
الامر قادر على نصرتهم فليس الكافرون اذن الا مغرورين مخدوعين .
و « ان » هنا نافية مثل ما وليه

وكذا يقال في استفهام الآية الثانية . فانه ينتهى عند قوله « رزقه »
وقوله « بل لجؤا في عتو ونفور » قام مقام الجواب . كأنه يقول : كلاً
لا أحد غير الله يرزقهم . ولم يدعوا لهذا الامر الواضح بل تبادوا في
تمردهم وكبرهم وتباعدوا عن قبول الحق واتباع النبي صلى الله عليه وسلم
(أفمن يمشى مكبراً على وجهه أهدي أمن يمشى سراً على صراط مستقيم)

فتموله « قل » أي يا محمد في تبكيت أولئك الذين عتوا وتقرؤا .
وتورطوا في الضلال : ألم تعلموا ان الله الذي يدعوكم الى الايمان هو الذي
خلقكم وجهزكم بأسباب الرشد والهداية من سمع وبصر وقلب . فلم
صممتم عن المواعظ ، وعميتم عن الآيات ، وغلظت قلوبكم فلم تنفذ اليها
أشعة الحق ، لا جرم انكم قوم لا تشكرون . وبنعمة الله تكفرون
والقلة كثيراً ما تستعمل في كلام العرب ويراد بها عدم الفعل لا حصوله
على وجه الندور : فاذا قلت قلما أرى فلاناً يكون معناه « لا أراه » لا « انى
أراه قليلاً »

— ❦ —

التربية والتعليم

حجاب المرأة

في الاسلام (*)

شرع الاسلام في جملة ما شرع من الاحكام أدباً خاصاً بالمرأة متعلقاً
بموقفها ازاء الرجل الاجنبي عنها وقد تنوع هذا الادب وتطور وسمي
« حجاباً »

والغرض منه صيانة كرامة النساء وتوفير حرمة الاعراض من حيث
يؤدي ذلك الى دفع الشرور وراحة العائلات وطمأنينة النفوس والاستيثاق
من الانساب

هذا هو الغرض من تشريع « الحجاب » بوجه الاجمال ولكن ما هو
حد الحجاب وكيفيته وشكله ؟

لم يحدد الاسلام له صورة خاصة ولا كيفية بعينها وانما أشار الى
طرائق تساعد على الوصول الى الغرض المقصود ويمكن ارجاع هذه الطرائق
الى ثلاثة أمور :

(١) على المرأة ان تدع التبرج امام الرجل الاجنبي عنها : فلا تبدى
زينتها ولا شيئاً من معارى بدنها امامه ولا تظهر بحالة تلفت أنظار الرجال
الاجانب اليها

(*) القاضل المغربي

(٢) على المرأة ألا تخلو برجل اجنبي عنها خشية ألا تكون نفسها أو نفسه تشبعت بالغة المصححة فتمس كرامتها وتسقط بين المرأى حرمتها ومهما كان الرجل والمرأة واثقين من أنفسهما عند الخلوة فانهما لا يكونان واثقين من الناس فيسيئون بهما الظن ويتقولون عليهما بالاقاويل

(٣) على المرأة ألا تسافر من دون أن يكون معها أحد محارمها خشية أن يضطو على ضعفها قوئ خؤون من الرجال

هذا معظم ما أشار به الاسلام علينا معشر المسلمين من الطرق التي تتوصل بها الى تخليق نساءنا بالغة والحيولة بينهم وبين ما يدنس كرامتهم أما نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد شرع لهن الاسلام أدباً خاصاً بهن . وهو القرار في البيوت : « وقرن في بيوتكن » وعدم جواز محادثة الرجال لهن وجهاً لوجه : « فاسألوهن من وراء حجاب » . وفي تخصيصهن بهذا حكم وأسرار اقتضتها الحالة اذ ذاك ولا محل لذكرها الآن

ثم جرى المسلمون في حجاب نسائهم على طرائق أخرى اختلفت باختلاف بثاتهم وأقطارهم وعمرانهم وأمنجتهم وسائر المؤثرات التي تحيط بهم حتى بلغ الامر بواحد منهم - وهو أبو مسلم الخراساني القائد الكبير ومؤسس الدولة العباسية - الى حبس زوجته في بيت خاص بها لا منفذ له سوى كوة تعطى منها طعامها وشرابها وقد اركبها مرة على بغلة وبعد وصولها أحرق السرج وذبح البغلة أنفة من يركبها أحد من الرجال

وبلغ الامر ببعض الصالحاء المنتظمين ان كان لا يأذن لنسوة بيته بالخروج أبداً فلزمن البيت وكن لا يعرفن الدواب والانعام فكان الاستاذ يصف ذلك لهن وقد أرادت إحدى الفلاحات المسيحيات من الدخول

عليهن فنعنها بداعي أن دخولها لا يجوز شرعاً كما علمهن والدهن . وحتى بلغ الامر بالفقهاء أو المتشددین منهم ان يكلفوا المرأة بوضع أصابعها في أقصى حلقها ثم تخاطب الرجل الاجنبي الذي جاء يسألها من وراء الباب عما اذا كان بعلمها في الدار أو لا

وهناك طرائق في الحجاب أخف مما ذكر : مثل الزامهن بالقرار في البيوت بحيث لا يخرجن إلا لازيارات أو للجمعاءات أو للحاجات ليشربنها من السوق أحياناً ومثل الزامهن بأن يتلفن شوب من فرقهن الى قدمهن ويضعن على وجوههن نقاباً يستر الوجه أو لا يبين منه سوى الحاجز وما يليها

والتلفن بالازار والنقاب تختلف أشكاله وأوضاعه باختلاف الاقطار الاسلامية : فنه ما هو كالكيس الاصم يفرغ على رأس المرأة وينسدل على أربع جهات جسمها . ولا منفذ فيه سوى ثقبين صغيرين على موازاة المقلتين ومنه اشكال آخر يعرفها من ساح في مصر وسوريا والاستانة وبلاط المغرب . وسمع شيئاً عن ازرة نساء الهند والصين ومسلمي روسيا

قلنا ان الغرض من الحجاب حفظ كرامة النساء . وان الاسلام اشار الى طرق خاصة وان المسلمين اهتموا الى طرق أخرى أرادوا بها مؤاذرة ما شرعه الاسلام . من تعزيز شأن المرأة فألزموها بالقرار في بيتهن والازار اذا خرجت منه وبأن لا تكلم رجلاً اجنبياً ولا تحضر الجمع والجماعات ولا دروس الوعظ ولا تراول من الاعمال سوى من البيت . وكأني بالقارى ينكر أن يكون الحجاب على هذه الصورة مما أحدثه المسلمون . ويذهب الى انه مما شرعه الاسلام نفسه وأوجبه على المسلمين ايجاباً . ثم يستشهد على دعواه بقول تاريخية .

وآثار دينية تتضمن أن ما ذكر كانت معروفا لدى المسلمين في قرونهم الأولى . وانهم كانوا يلزمون نساءهم به باعتبار أنه شريعة لازمة وقضاء مبرم أنا لا اجادل في تلك القول والآثار . وانما اعارضها بقول وآثار أخرى تدل على أن الحجاب المتعارف عليه بيننا اليوم ليس مما شرعه الاسلام على سبيل الحتم وانما ألزم المسلمون به نساءهم (سدا للذريعة) : والاصل الدينى (أن ما يؤمر بفعله سدا للذريعة كان فاعله مكلفا به بطريق الندب والاولوية لا الحتم والالزام)

روى أن أبا أسيد الساعدي رضى الله عنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى وليمة عرسه . وكانت خادمتهم العروس نفسها : كانت تقدم اليهم من نقيع التمر فيشربون . وكانت زوجة عبد الله بن عمر تنزل الى المسجد فتصلي الفجر غلغلا . ثم احتال عليها زوجها فنعها من النزول سدا للذريعة وخوف الفتنة . وحكايته في كيفية منعها مشهورة .

وكان أبو بكر الصديق يجتمع بالنساء الاجنبيات ويحادثهن وكان سفيان الثوري وأضرابه يزورن رابعة العدوية ويسمعون كلامها . وكانت عائشة الباعونية (في القرن الحادي عشر من الهجرة) تقرأ درسا عاما في الجامع الاموي في دمشق ويحضر درسها العلماء والصلحاء وعامة الناس . وكان عمر بن الخطاب اذا رأى امرأة مرخية قناعا على وجهها كشف القناع ونظر اليها فان وجدها جميلة أقرها على فعلها . والا ألزمها بالسفور وترك التقيع . وكانت عائشة بنت طلحة الصحابي الكبير مع جمالها لا تستر وجهها عن

الرجال لعظم قدرها . وكبر نفسها . (أي أنها تشعر في نفسها بأنها أعظم من أن يحدث نفسه بها محدث) وكان يدخل عليها الشعراء فتجيزهم الجوائز الكبيرة . وكانت سكيئة بنت سيدنا الحسين وحفيذة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم — غفيرة بركة (والبرزة في اللغة بارزة المحاسن والمرأة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون معها) فكانت سكيئة تجالس الجللة من قريش ويجتمع اليها الشعراء وتأذن للناس اذنا عاما حتي تنص الدار بهم فنامر لهم بالأطعمة . ثم تسأل الشعراء وتنقد أقوالهم وتجيزهم .

ومن نساء البادية عمرة الجمحيه : كان يجتمع اليها الرجال لأنشاد الشعر وكان أبو دهل من أشرف قومها . ومن المتردين على مجلسها . فبلغها أن النساء يتحدثن في حبها له وحبها لها فرفعت مجلسها وتركت مجالسة الرجال الا من وراء حجاب . فهي بذلك قد احتاطت لنفسها . وسدت الذريعة دون القول عليها . ونعما فعلت .

وكما يقال عن عقائل لوندرد وباريس اليوم . ان فلانة منهن (صاحبة صالون) يجتمع فيه الفضلاء والعلماء والادباء للمسامرة والحديث — يصح أن نقول نحن ان أولئك العقائل العربيات الثلاث (عائشة . وسكيئة . وعمرة) كن من ذوات الأندية في صدر الاسلام وروى صاحب الاغانى أن المرأة في أوائل الاسلام كانت تجالس الرجال في الاندية وتخطبهم وتذاكرهم . وكانوا لا يرون في ذلك منكرا . اللهم الا اذا آنسوا رية فهناك يحتاطون لأنفسهم . ويحفظون كرامتهم . ولو يطلب البراز (دويلو) . فيلاحظ مما ذكرنا أن هذا الحجاب الكفيف

المعروف في الامصار الاسلامية اليوم لم يكن مما شرعه الاسلام وانما حدث
بحدوث ضعف الوازع الديني على النفوس وغلبة الفساد والترف بين الناس
وانحطاط شأن الفضيلة والاخلاق. فرأى أهل الدين والشرف أن يلزموا
نساءهم بالقرار ويستتروهم اذا خرجوا بالازار. ويحولوا بينهم وبين مواقع
الانظار. ثم قلد العامة الخاصة في ذلك وأصبح عادة متبعة. وتقليد مجتهداً
فيه. وفي حجب النساء على هذه الصورة احتياط يلتم مع آداب الاسلام
ما لم يؤد الامر فيه الى سقوط شأن المرأة. وضياح حقوقها. وغلبة الجهل
عليها. فتضعف عن القيام بالوظيفة التي وكلتها اليها العناية الالهية: وهي تربية
النوع البشري جيلاً بخيلاً. فعلى المسلمين اذن أن يسعوا كل السعي في امداد
نساءهم من وراء الحجاب بالعلم والمعرفة وتعليمهن ما يلزمهن تعالجهن من تواجد
الدين والادب ومبادئ الفنون اللازمة لهن. ولا يدعوا الحجاب يحول بينهم
وبين ما يفرضه عليهم الدين الاسلامي من هذا القيل.

وفي المقال الآتي نذكر السبب في عدم مشروعية هذا الحجاب الكشيف
وهو منافاته لطبيعة الاسلام. المنطبقة على طبائع العمران مهما اختلفت
مظاهره. وتعددت صورته.

اسكلة طرابلس الشام

المغربي

قلنا انه يوجد نقول وشواهد يعطى ظاهرها أن الحجاب المتعارف
عليه اليوم هو مما أمر به الاسلام ثم سردنا نقولاً وشواهد أخرى تفيد أن
ذلك الحجاب ليس مما ألزم الاسلام الزاماً. وانما جرى عليه المسلمون
سداً للذريعة:

واذا تعارضت هذه النقول ثم تساقطت رجعنا الى طبيعة الدين الاسلامي
والي طبيعة العمران البشري وأقنأهما محكمين في المسألة.

لا جرم أن الاسلام دين عام في الزمان والمكان والمخاطبين فهو لا يختص
بمعصر دون عصر. ولا يقتصر الخطاب فيه على طائفة من البشر دون طائفة
ولا قطر دون قطر:

فاذا شرع الدين الاسلامي أدبا أو قرر حكماً ينبغي أن نلاحظ فيه السر
والغرض من التشريع. فحينما وجد الغرض في عملنا كنا عاملين بما أمر به
الدين. وحينما اتقى الغرض لم نكون عاملين بما أمر به. ومن ثم جاء في قواعد
الاسلام الاساسية (الامور بمقاسدها) أي ولا عبرة بالعوارض والجزئيات
فالغرض من تشريع الحجاب انما هو صيانة المرأة والحيولة بينها وبين
كل ما يشين أدبها وحرمتها. وهذا الغرض هو الذي يخاطب به المسلمون
والمسلمات مهما كان زمنهم ومكانهم. وعلى أي حال كان عمرائهم ونوع
اجتماعهم: كانوا ساكنين في البدو أو في الحضر. وكان عمرائهم راقياً أو
منحطاً. وكانت المرأة مضطرة بحكم نوع معيشتها ان تشارك الرجل في السعي
والعمل للعائلة أو لم تكن.

هذا الغرض هو ما يأمر به الاسلام. ويدعو اليه سائر الاقوام.

اذا قام فينا معشر المسلمين في هذه الايام (دعاة) ثم بثناهم في سائر

أقطار العالم لأجل التبشير بديننا . وحمل الامم على قبول تعاليمنا . وجئنا الى مسألة المرأة والحجاب فهاذا نأمر أولئك (الدعاة) أن يكلفوا به الامم . ويلزموا به نساءهم ؛ وما هو نوع الحجاب الذي يعلمونه لأولئك النساء الداخلات في الاسلام فيمارسنه ليكن عاملات بأداب الدين الاسلامي ؛ اذا اجتمع من هؤلاء (الدعاة) فئة في مدينة باريس مثلاً وبرهنوا على صحة الاسلام . ثم جاء الدور للحجاب فأرادوا أن يكلفوا الباريسيات به . فماذا يقولون لمن ؟

المعصية يخرج من تحت ابطة ملاء وبرقع
والشاي يخرج حبرة ومندبل .
والتركي قرأه ويشمق .

والايراني والجاوي والهندي والفتاري والمرأ كشى والبخارى — كل واحد من هؤلاء الدعاة الافاضل يعرض زى الحجاب الدارج في بلاده ويكلف المرأة الباريسية أن تحتذى مثاله وأن تستقر في دارها فلا تخرج منه ولا تخلط أحداً من الرجال ولا تراول عملاً غير الاعمال البيتية .

وهناك (دعاة) الى الدين الاسلامي من أهل القرى وسكان البادية . وربما كان عدد هذا الفريق نصف الأمة الاسلامية أو أكثر من النصف . هؤلاء الدعاة الفطريون يعرضون على الباريسيات قناعاً بسيطاً ويشيرون عليهن أن يتلفعن به ويسدلهن على صدورهن . ثم لمن أن يسعين مع رجالهن في طلب الرزق ومزاولة بعض الاعمال التي يطبقونها خارج البيت .

هنالك تقوم قيامة بقية الدعاة من سكان الامصار الاسلامية وتحتدم نار الجدل بينهم وبين دعاة القرى والبوادي في أن المرأة المسلمة هل يلزمها

أن تنلف بثوب يسترها من فرقها الى قدمها أولاً ؟ وهل تلزم البيت أولاً ؟ وهل تخرج لضرورة أولاً ؟ وما هو قدر الضرورة المبيحة للخروج ؟ وهل وجهها عورة ؟ ولماذا لم يكن عورة ؟ وهل يسوغ لها أن تشارك الرجل في الكسب بقدر طاقتها أولاً ؟ وهل يصح أن تمارس عملاً غير الاعمال البيتية من فراش ورضاع وطبخ أولاً ؟ وما معني المرأة المترجلة ؟

كان الدعاة يتجاورون ويتناظرون . وكل منهم متأثر بالمؤثرات التي أحاطت به منذ نشأته .

فكان الواحد منهم يستمد الدليل على دعواه من شعوره وفهمه الخاص ومن عادات بلده وتقاليده أسرته . ومن تقريرات شيوخه وآراء علماء المذهب المنتمى اليه — ولا يستمد من طبيعة الدين الاسلامي ولا من طبيعة النوع البشري ولا من طبيعة نوااميس العمران الاجتماعى المتحددة مع طبيعة الاسلام . طبيعة الاسلام هي أنه دين عام ملائم لمصلحة البشر . قابل لتطبيق تعاليمه عليهم جميعهم مهما اختلفت عناصرهم ومواطنهم وأزمانهم . فيلزمنا أن نقرر مسألة الحجاب اذن تقريراً يمكن أن يخضع له ويطبق استعماله — عند الدعوة الى الاسلام — مجموع النوع البشري لا بعض طوائفه أو جماعات منه .

فالحجاب الذى يطبقه المجموع هو ماقرناه في مقالنا السالف : من ترك التبرج والخلوة بالاجنبى والسفر مع غير محرم وكل ما يحدث ريبة أو يمس الشرف والكرامة . أما « القرار » و « الازار » فان أطاقه نساء الامصار الاسلامية فلن يطبقه نساء القرى والبادية ولا النساء البولونيات المسلمات . ولن يطبقه نساء باريس اليوم .

فهل النساء القرويات والبدويات والبولونيات المسلمات معذبات يوم القيامة جزاء تركهن « القرار » و « الازار » ؟

وهل نساء باريس المسيحيات غير داخلات في مفهوم « أمة الدعوة » بحيث يصح لنا أن ندعو الى الدين الاسلامي كل أحد الا أولئك الباريسيات وأضرابهن ؟

اللهم ان هذا القول لا يقول به الا من وقف من تعليم الدين الاسلامي على الظواهر والجزئيات والآراء الخاصة والتقاليد الموروثة .

هذه هي طبيعة الاسلام أما طبيعة العمران الانساني فهو الانتفاع بالقوة . لان القوة أساس التكامل الاجتماعي وكلما ارتقى نوع البشر ازدادوا احتفاظا بالقوة وازدادوا بحثا عن مصادرها وأنواعها وطبيعتها وكيفية الانتفاع بها . ولا يخفى ان النساء نصف البشر وهن شقائق الرجال كما ورد في الحديث . فمن اذن قوة عظمى مهما تفننا في نسبة الضعف اليهن .

واذا كان النساء قوة كان الاجتماع الانساني مضطرا للانتفاع بهن . وبحسب اختلاف أطوار هذا الاجتماع تختلف طرائق الانتفاع .

فعمران الامصار الاسلامية أطافت به مؤثرات جعلته يكتفي من الانتفاع بقوة النساء بالفراش والرضاع والطبخ . أما نوع معيشة الاسكيمو والزولوب وأهل القرى والبرادى وعمران أمم أوروبا وأميركا — فلا يمكنهم قط ان يفرطوا بقوة النساء فيلفقوهن بالازار ويلزموهن بالقرار ويقولون لهن : اتن ضعاف لدوا ورثوا واطبخوا ولستن مكلفات بغير ذلك . وإنما يقولون لهن قوموا بوظيفتكن الطبيعية المذكورة واستعملوا قواكن المختلفة

في مساعدتنا وتوفير كل ما به فائدة لهيئة اجتماعنا أو نوع معيشتنا حسب طاقتكن .

ومن تفتن لحالة البشر في سداجتهم القديمة البدوية وحالتهم في حضارتهم الجديدة الأوروبية عرف مبلغ مساعدة المرأة في الحالتين . وتأثيرها في المجتمعين . البدوى والمدنى . والاسلام بطبيعته السمحة لا يمكنه ان يقول لهؤلاء الاقوام المكافين بالآيمان افعلوا غير ما يقتضيه عمرانكن وطبيعة اجتماعكن وإنما هو يأمرهم في شأن حجاب نسائهم بالمبدأ العام أعني تربية المرأة تربية صيانة وعفة وفضيلة وسلامة أعراض وحفظ انساب يقول لهم اسلكوا للحصول على هذه المزايا مختلف الطرق التي تلائم طبيعة عمرانكن : قرار وازار . أو غير ذلك من الأساليب والاطوار .

اذا كنتم لا تثقون من حفظ حرمة نسائكن وكرامة عقائلكم الا بهذا النوع من الحجاب أحجبهوهن .

واذا رأيتم ان حفظ الحرمة والكرامة يكون بأسلوب آخر غير الحجاب بحيث لا تخرجون فيه عن أصول دينكن ولا تتعدون حداً من حدوده . أو تصدرون غرضاً من اغراضه جاز لكم ذلك .

أثرون لو نشر سيدنا عمر بن الخطاب من قبره واصطحب زوجته الى القاهرة للسكنى فيها . ورأى أنه اذا حجبها على الطريقة الوطنية كانت عرضة للامتهان ومس الكرامة واذا جعلها تمش في الاسواق كما تمش السيدات الاوربيات فلا يتعرض لها متعرض ولا يغازلها مغازل — فأى الحجابين يختار عمر ؟ وبأى زى يلزم زوجته ؟

ومحصل القول ان حجاب النساء وعاداتهن وتربيتهن وموقفهن ازاء

الرجال يختلف باختلاف الاعصار والامصار . وهذا الاختلاف ناشئ عن سنن الهية ونواميس عمرانية لا يمكن لأحد ان يغير أو يبدل فيها . وحاشا الدين الاسلامي — دين الفطرة والعقل — ان يصادم هذه النواميس وانما هو يحرص على حفظ روح تشريعه ثم يدع جسم العادات والتقاليد تتغير حسب وطأة النواميس ولنورد للقارئ الكريم مثالا من أمثلة تغير أطوار المرأة في تاريخ الاسلام :

كان المسلمون في سابق عهدهم لاسيا الدولتين العباسية والاندلسية — يديحون لفتياتهم ان يتعلمن ماشئن من فنون العلم والادب والتاريخ والشعر والغناء . وكن يحادثن الرجال ويحتمعن بهم وينغين امامهم . ناهيك ان « علية » بنت الخليفة المهدي . وحفيذة الخليفة المنصور . وأخت الخليفة هرون الرشيد . وعمة الخليفة المأمون — اخترعت ألحانا في الغناء بلغت ثلاثة وسبعين صوتا وكلها من بديع الصنعة على مارواه صاحب الأغاني .

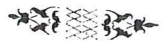
والحكايات المروية عن محاورات أئمة اللغة والشعر والادب مع النساء في صدر الاسلام — مشهورة وفي السكتب مسطورة .

ثم طرأ على العمران الاسلامي في القرن الخامس ماغيره عن وضعه الاول . ولم يزل يتبدل الى هذه العصور الاخيرة . ومنذ خمسين سنة منع بعض العلماء ابنته حواء وعمرها خمس سنوات أن تذهب الى « المعلمة » تتعلم عندها الخياطة وقراءة القرآن بداعي انه رآها مرة تمشي في السوق وهي راجعة من بيت المعلمة وقد جعلت تلفت يمينا وشمالا من تحت الحجاب السكيف المتلفة به فراعه الأ مروحرمها الذهاب الى المعلمة . أما اليوم فان ابنتها أي ابنة حواء المذكورة تتلقى فنون النحو والادب والخط ومبادئ العلوم العصرية واللغة

الفرنسية والبيانو وأشغال اليد المختلفة في مدرسة بنات أجنبية وهي في سن العشرين تقريبا . وبالامس اشترى لها والدها (بيانو) بخمسين جنيتها تنتمي « عليه » بنت المهدي لو كان لها واحد مثله .

الى هذا الحد بلغ التغير في مدى الخمسين سنة الاخيرة . وربما بلغ فوق هذا بين النساء المصريات والتركيات لاسيا اللواتي يترددن الى أوروبا . فهل نجمد معشر المسلمين مع الجامدين ؟ أو نطبق عمرانا على ما تقتضيه السنن الاجتماعية الملائمة لاصول الدين ؟ مع ملاحظة أن ديننا دين عام . لا تختص به أقوام دون أقوام ؟

المغربى



اللغة المختارة للأدب

زلات الاقلام

(١)

من تتبع ما يرد في كثير من متداول مصحف بالنقد وجد في موضوعها ومعربها من اللحن والوهم وزلات القلم ما يضيق به ذرعا . فان فيها من التخليط في التركيب والقلب في الوضع والخطأ في الصناعة ما يحزن البصير من الاشفاق على لغة أو شك ان يتقوض نادياها ويقفر وادياها

يتناول البصير صحيفة من تلك المصحف فلا يكاد يتلو فيها سطرا أو عبارة حتى يقع له من مقابول الاوضاع ومبتذله ما يقيمه بين العجب والاسى ويقطع قلبه خوفا على هذه اللغة من تلك القوضى الكتائية التي تنذر بشر مستطير

فقد انقطع كل عقل في هذا البلد وأصبح كل من شدا قليلا من النحو وألم بشئ قليل من المنظوم والمنثور يحشر نفسه في سواد الكاتين فيجري قلمه على الطرس يسوده بما تلقته من أمثاله بلا بحث ولا تكير ولا يعدم هذا من يزل على أثره فيشيع الزلل وتبدل الاوضاع

وانا ذا كرون لك في هذه العجالة مثلاً مما يتابع فيه هؤلاء الناس بعضهم بعضاً بلا ترو ولا خض وهو كثير يراه الناقد البصير في تضاعيف الصحف وما تلقظه المطابع وسندكر في كل جزء طائفة من تلك الزلات عسى أن يكون ذلك باعثاً للمخطئين على التحري والاهتداء الى الصواب

فمن ذلك قولهم هذا الامر (عرف) من الناس . يريدون أنهم عرفوه فينبون الفعل لما لم يسم فاعله جهلا به أو لغرض آخر من أغراض حذف الفاعل واناة المفعول منابه ثم يعودون فيذكرونه مجروراً بمن وحذف الفاعل وذكره بعد ذلك على ما ترى غريباً !

وقولهم فلان (بالسكاد) يفهم ما أقول . يريدون أنه لا يكاد يفهم وهذه الصورة هي الصحيحة . وانما يقع لهم ذلك الوهم في التعريب الحرفي ومنهم أئى يجهل على العرب ولا تعجبه لغتهم يقول ويكرر قوله ان الاقباط لا يريدون كذا (طالما) المسلمون يريدون كذا . يريد بقوله طالما ما دام وذلك من أغرب ما سمع وان لم يكن من مثل قائله غريباً

وقولهم زار فلان فلاناً (بصفته) رئيساً له مثلاً . وهذه الصورة يتعذر ردها الى وجه في الاعراب وانما هي من التعريب الحرفي والصحيح أن يقال باعتباره وينصب المنصوب بعده على المفعولية للمصدر المضاف

وقولهم هذا (القائمقام) كان من (المديرين) . فيزلون زلتين الأولى جعل اللفظين المتضايين لنظماً واحداً واعرابهما اعراب المفرد ووصل أحدهما بالآخر ولا تكاد تخلو من هذه اللفظة صحيفة عربية . والثانية زيادة ياء النسبة بلا معنى . والصواب أن يقال هذا القائم مقام كان من المديرين

وقولهم ألف هذا الكتاب (بمعرفة) فلان . يريدون أن هذا الكتاب ألفه فلان لا أن التأليف حصل باطلاعه والمؤلف له غيره . وأكثر ما يحى مثل هذا التركيب فيما يعربونه عن اللغات الأخرى

وقولهم (الشبهة المنورة) . يريدون به النابتة المستتيرة أو الشبان

المستعيرين . وأكثر ما يشايح الكتاب بعضهم بعضاً في هاتين الكلمتين على كثرة من نهوا الى الصواب فيها

وقولهم (أناط) فلان بي كذا . يريدون ناط فيزيدون الهمزة خطأ وأغرب من هذا قول من يقول هذا الأمر (مأنوط) بي في اسم المفعول من ناط !

وقولهم ليس هذا الامر من (صالحنا) يريدون أنه ليس مما ينفعهم . وإنما هي المصالح والمنافع

وقولهم سيق الجاني (موثوقاً) للتحقيق يريدون أنه كان مشدود الوثاق فينبون اسم المفعول من وثق الثلاثي خطأ والصحيح فيه موثقاً . وقد وهم في هذا اللفظ بعض كبار الشعراء فقال يخاطب النيل :

أصبحت في مصر (موثوقاً) الى أجل * وكنت وحدك حراً في نواحيها
وقولهم (ازدرى) فلان بفلان . يريدون أنه حقره فيعدون الفعل بالباء وهو متعد بنفسه . وقد وهم فيه بعض كبار الشعراء

وقولهم فلان (عبارة عن) شخص مجرد من الفهم مثلاً . وهذا البناء عبارة عن عدة غرف متشكاسة فيجعلون الشخص والبنيان عبارتين . وإن هذه العبارة لتجري العبارة !

وقولهم (كم) فلان ذو عقل . يريدون ما أعقل فلاناً يتمتعون من سعة عقله فيأتون بهذا التركيب السخيف الذي لا يقف فيه أي ولا ينزل اليه عامي وعقولهم بأن يعجب منها أحق وأولى

هذه مثل مما علق بالحفاظة من زلات الاقلام . نذكرها في هذه

العجالة تنبيهها لأولئك الذين يتلقفون الصيغ والأوضاع من أفواه أمثالهم ومما تلقظه صحف يكتبها أشباههم

نذكرها تنبيهاً لهم عسى أن لا يأتوا فيما يكتبون إلا بما صح استعماله وكان مردوداً الى وجهه صحيح في الاعراب فان تخطبهم وتورثهم علي تلك الاوضاع الغريبة عن اللغة والتراكيب التي لا وجه لها في الاستعمال مفض الى ما علمت من الضرر وشيوع الفساد في لغة العرب

ومما يزيد الخطب أن يكثر فينا المتخطبون ويقل المنتقدون فتهاجم العجمة هذه اللغة من عدة جهات . وإذا سهل على جماعة من النقاد أن يتعقبوا ما يرد في بعض الصحف من أمثال هذه الزلات ويردوها الى وجهها فانه ليس من السهل أن يتعقبوا كل ما تخرجه المطابع في هذه الأيام وهو كثير . وإذا أضفنا الى ذلك أن من هذه الزلات ما سبق لبعض المطالعين التنبيه اليه وتبيين وجهه ونقد زيفه وأنها لا تزال مع ذلك يتابع بعضهم فيها بعضاً أيقنا أن الامر مما يحتاج الى كثير عناء واشتغال

اللهم قيض للغة كتابك الحكيم ونبيك الكريم من ينصها من هذا العار وينقذها من ذلك الاسار فقد آذاها قوم لا هم يخدمونها بانقطاعهم عن خدمتها ولا هم يكفون عن خذلانها كلما دعت أهلها الى نصرتها



العام الهجرى

مضت حقبة من الاجيال والقرون تمر بنا رءوس الاعوام الهجرية فلا يحتفل بها كأنما ذلك الحادث الجلل لم يكن بالشيء الذى يعاب به مع انه لولا أن الله أنجى رسوله الأكرم من أيدي أهل الكفر والضلال وعبداء الاوهام والاصنام ما قام منار الاسلام ولدامت ظلمات الشرك طباقاً لا تتسوخا شمس الهدايات ولا ترجزها العقول المستنيرة.

ظهر سيد الكائنات عليه السلام والناس ينحتون الحجارة بأيديهم فيصورونها تماثيل ثم يقيمونها في محاريبهم ليعبدوا منها آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن أنفسها شيئاً

ظهر والناس يشركون بالله غيره من أفراد البشر ويجعلون له أنداداً يحبونهم كحب الله أو أكثر

ظهر والناس لا يحتفظون بحق ولا يتناهون عن منكر. كانوا يستبيحون الحرمات ويكرهون فتياتهم على البغاء. كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل فلا يرقبون الله فى أموال اليتامى ولا يباليون أن يعضوا النساء الايمانى ليلتهم ما ملكت ايمانهم. كانوا لا يرحم منهم كبير صغيراً ولا غنى فقيراً. كانوا يأكلون التراث أكلاً لما ويحبون المال حباً جماً يطففون المكاييل وينقصون الموازين فاذا اكثالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون كانوا يثدون البنات خشية العار وما عرفوا أن التربية تقوم النفوس المعوجة. كانوا يقتلون الاولاد خشية الاملاق وما علموا أن الله يرزقهم واياهم

كان الناس على ما وصفناه وجاء به الكتاب الكريم فظهر نحر الكائنات عليه السلام بآياته البينة وبراهينه الساطعة وتعاليمه المتينة وسنته القوية ظهر بتوحيد المعبود وتوحيد القلوب والمؤاخاة بين المسلمين والحث على مكارم الاخلاق والعدل بين الناس ولين الجانب لأهل العهد والذمة والرفق بما منكرته الايدي من الحيوان ظهر بالترغيب فى عتق الرقاب وتحريرها ووعد الذين يفعلون فى ذلك مغفرة من ربهم ورضواناً

ظهر بالرفق بالانسان وازالة الاطواق عن العقول البشرية خفضها على النظر والفكر وأمر أمته بالشورى كما كان يستشير صحابته فى الشؤون العامة ويأخذ بصالح آرائهم فيها

وبالجملة فقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان ما أراده جل شأنه اذ أصبح الاسلام الذى هو مقتضى الفطرة البشرية هو دين القلوب السليمة والعقول القوية وان صدف العناد أمماً عن الاعتراف به وانتحاله فانهم جميعاً أخذون بتعاليمه مطمئنون لأحكامه وحكمه ولكنها الرهبة من بعض ما يكرهون قد دفعتهم عن الجهر بالاخذ به والتجمل بانتحاله

أما المسلمون فحق عليهم أن يعتصموا بحجابه ويتفاخروا بما يتحلون به من آيات جماله فلا عجب اذا رأيناهم اليوم يحتفلون بهذه الليلة المباركة التى أعمى الله فيها أعين المشركين عن رسوله الامين فنجى الله بنجائه هذا الدين الخفيف الذى يدين به اليوم نحو أربعائة مليون من الانسان ومما يجمل بالذكر أن تلاميذ المدارس الاميرية بمصر هم الذين نهوا أول

مرقة الحكومة منذ عامين الى وجوب اقامة الاحتفال بهذا العيد الكبير. وهذه
ثالث مرة اقيمت فيها هذه الشعيرة الاسلامية في الديار المصرية
ولقد أخذ الشعراء المتوهجون يتنافسون في تصيد القصائد ليحلوا
بأياتها العامرة الاحتفالات هذا الموسم المبارك فمن أجود ما وضع في ذلك
قصيدة ذلك الاستاذ الكاتب القدير المعروف بكتاباته الادبية الكثيرة وهو
الشيخ طه حسين وسنعقبها بقصيدتين غراوين احدهما للشاعر الطائر الصيت
أحمد افندي نسيم والاخرى للشاعر الكبير والكاتب الشهير خليل
افندي مطران .



كن أنت بعد أخيك خير هلال
وابسم بها بعد العبوس فربما
كن أنت ميمون المطالع مرسل
أشرق وحدث مصر عن آمالها
أمصدق فيك الظنون وناظر
ومبدد عن مصر بعض همومها
أغرى الخطوب بها وأمطر أهلها
ما بين آونة تمر وأختها
عسف تنوء به النفوس وشدة
ماذا أقص عليك من آلامنا
ان الشكاة بمصر جرم مهلك
من يشك أو يرفع بذلك صوته
أخذوا على الصحف الطريق وأرهقوا
وعدا على التمثيل من غلوائهم
نقموا من التمثيل نطق ممثلي
فاهتاج هائجهم عليه وأغلقتوا
سل ان أردت النيل عن آلامنا
وانظر خولي لو بدا لك معشر
يتلمسون بكل بيت هفوة
اني لأكتمك الحديث تحفظاً
فلقد تكون «قصيدتي» كوسيلة

وأضئ لمصر سبيل الاستقلال
صنع ابتسامك بالرجاء البالي
للنيل بالاسعاد والاقبال
ماذا صنعت بهذه الآمال
للنيل نظرة مانح وصال
فلمد أضربها أخوك الخالي
من ربهن بوابل هطال
هول يحيق بهم من الأهوال
سواي العواقب حجة الإملال
هيهات هل يسمع الشكاة بمقال
والنقد مصدر محنة ونكال
فهو المييح والسفیه الغالي
كتابها بالضم والاذلال
عاد فأذن ظله بزوال
فيه بلفظة (كامل) وكمال
أبوابه من غير ما امهال
تسمع لديه جواب كل سؤال
رمى الى لحاظهم بنبال
ويؤولون برأيهم أقوال
وأرى السكوت على الاذى أولى لي
بيني وبين السجن والاعلال

هلا سألت اخاك فيم نفوره
وعلا م خص الشرق من ارزائه
في البرتغال له يد مذكورة
أشلي كلاب الظالمين عليهم
ما زال بالاسلام يعرك أهله
حتى لقد أمسى بسوء مصيره
مالى وما للبدر أطلب رده
منا بليتنا وفينا برؤها
ان السعادة بالوفاق رهينة
ترجو الرقي وكيف ترقى أمة
عبث بحق الامهات وأغفلت
لم ترهن فكن مصدر شقوة
ساد الذين عنوا بأمر نساءهم
أنى تكون الصالحات لأمة
يجي يميناه النضار ولم يكد
يمسى ويصبح في النعيم وقومه
فالجهل منتشر تعيث شروره
في كل آونة تمد حباله
ما بين بأئسة تقسم ضعفها
فاسترسلت في المنكرات وحلت
وذوى عيال مرملين غلابهم

منا وفيم جفاؤه المتوالى
بالجأحات وفادح الاثقال
وله بأرض الفرس اسوأ فال
فعدوا نهاب خديعة وضلال
وبلاده عرك الرحي بشفال
لهو الحديث ومضرب الامثال
بل ما لأفلاك السماء ومالى
لولا اختلاف الرأى والاميال
لا يخذعنكم بريق الآل
سلكت سبيل التيه والاضلال
أمر الامومة أيعا اغفال
فيها وداء للبنين عضال
وسموا بهن الى مكان عال
رغب الغني بها عن الافضال
حتى يجود على الخنى بشال
لم يظفروا من بحره ببال
فينا وتفتك فتكة الاغوال
فتصيد صرعى الفقر والاحمال
نفس مفرقة وجيب خال
من نفسها ما لم يكن بحلال
جهل وأعيام طلاب المال

فاستفتحوا باب الشرور وأرقلوا
لا درّ درّ المال ان لم يدخر
لا درّ درّ المال ان لم يدخر
لا درّ درّ المال ان لم يدخر
ماذا ينفيد وسام صاحبنا اذا
أجود تلميذ بدرهم يومه
ويجود مضطر بقوت عياله
والأغنياء على الملاهي عكف
انى لأخشى أن تصير أمورنا
شبان مصر لكم ازف تحيى
ياويح مصر من الزمان وصرفه
أحيوا العلوم فلا حياة لأمة
رقوا النساء فلا حياة لأمة
كونوا لمصر كما تؤمل فيكم
أزهار نهضتها وأتجم سمعها
الرافعين منار مصر ومجدها
والقائمين لها على رغم العدى
والقازعين لمصر اذ تدعوهم
لا زال جياكم لمصر بهاءها

نحو المآثم أيعا ارقل
لبناء مكرمة وحسن فعال
الا لذات الطوق والخلخال
الا لنيل مراتب الاجلال
سبقت الى الحسنى يد الجمال
عن طيب نفس غير ذات ملال
جدلان لا يصغى الى العذار
صرعى الملاحظ والهوى الختال
ان دام بخلمهم لأسوأ حال
والى محبتكم أسوق مقال
ان لم تهملوا همة الأبطال
ألقت أزمته الى الجهال
أمر النساء بها الى الاهمال
ذخر الزمان وبهجة الآمال
وجالها المزرى بكل جهال
والخافضين عدوها المتعالى
بالمكرمات وصالح الأعمال
في غير ما وره ولا اجنال
وعلاءها الباقي على الأجنال

قصيدة نسيم

في رأس السنة الهجرية ١٣٢٩

تجلى العام فاستجلوا الهللا
سأطريه متى عزت بلادي
وأمدحه متى قننا بمصر
فأما والبلاد وساكنوها
فلمست بناظم فيه قريضا
الام نطالب الاعوام خيرا
تمر وتنقضي منها ليال
وتلك ممالك الاسلام كادت
فلمست أخصها بالذكر عنا

* *

ايا عاما تقضى بئس سهم
فقالواهل صروف العام كانت
هموم لو رشقت بها فؤادا
لقد حملتنا للضيم عبأ
وقد أجريت دمع القوم حتى
ولولا ذكر أحمد كل عام
نبي بالصحابة عز شأوا

رمى به الغواني والرجالا
نزاغا قلت بل كانت نزالا
لكانت في جوانبه نبالا
ثقيلا لا نطيق له احتمالا
كأنا كلنا قوم ثكالى
لما صغنا لك السجر الجلالا
فقال النيرات على وطالا

أولئك فرقة لم تآل جهدا
سألوهم كيف كانوا في الرزايا
مضى بهم النبي بكل فجع
وكان الوحي يهديهم بأى
هم رقوا البلاد وحضروها
وهم ساسوا الشعوب فأكسبوها
فما راموا بغزوهم اعتسافا
ولكن انقذوا أمما حيارى
وكانوا كلما ساسوا اناسا
وحطوا عنهم فى كل خطب
وهم فرضوا العفاف وأيدوه
فكانت كل غانية خلوب
وكانوا أعدل الدنيا ملوكا
وأكبر اهلها عقلا وفضلا
وأفخرهم بأصل لا يدانى
وأثبتهم لدى الغزوات قلبا
اذا الملهوف ناداهم تمشوا
ولولا العرب مارقت حواشى
يعيهم ولا يدرى جهول
دعوه يذوب من غيظ فقيه

اذا صالوا بجانبه وصالا
اذا ثقلت بوطنها جبالا
فلم يترك لغيرهم مجالا
تحاكى التبر والذهب المسالا
وهم سنوا المروءة والنوالا
من العرب المحامد والخلالا
ولا طلبوا بفتحهم اغتيالا
تذوق العسف أدهارا طوالا
شفوا من حالهم داء عضالا
حمولا فوق غاربهم ثقالا
كما فرضوا البراقع والحجالا
اذا مرت بهم مرت خيالا
وأوفر أهلها جاها ومالا
وانجب خلقها عما وخالا
وأعلامهم بمجد لا يعالى
وأسبغ في محامدهم ظلالا
اليه فى سوابقهم عجالا
بلاد النيل أو زادت جمالا
يروم اشمس سؤددهم زوالا
سعير الحقد يشتعل اشتعالا

كفنا أمة الأعراب نخرا
أرى أجدادنا منهم فتيهوا
بانا أشرف الشقلين آلا
بهذا الفخر واختالوا اختيلا

سَلُوا عَمْرًا عَنِ الْفَسْطَاطِ يَوْمًا
وَكَيْفَ أَقَامَ شَرِيعَ اللَّهِ فِيهَا
وَبَاتَ الذَّنْبُ لَا تَخْشَاهُ شَاةٌ
فَضَائِلُ يَوْمٍ نَحْصِيهَا كَأَنَّا

أرى فرقا قد افترقت بمصر
أناس أخلصوا من بعد زيف
وأقسام قد ارتدوا جهاراً
وقال الناكصون كفى غلوا
خلائق في المسكارم لم يعدوا
أولئك عصاة بالخزي بأؤوا
ورامت عن أوامرها انفصلاً
وتابوا بعد أن القوا الضلالاً
فساءوا في عواقبهم مآلاً
والا ذقم منه الوبالاً
يمينا للفسعال ولا شمالاً
فسموا الخزي والجن اعتدالاً

أنا بة البلاد وخير نشيء
عليكم بالاءاء ولا تفكوا
سيندب حظه الوطن المفدى
جدوا فى علومكم صغاراً
فمن رام الكواكب والدرارى
وان صرتم رجال النيل يوما
غدوا للنشيء بعدهم مثالا
عرى القربى فتخذلوا اخذالا
اذا لم تحسنوا عنه النضالا
ولا تشكوا السامة والسكالا
بلا علم فقد رام المحالا
فلا تنسوا بربكم القنالا

وذودوا عنه ما استطعتم برأى
 وكونوا الاجانب خير عون
 اذا عشم واياهم بخير
 ولم يزل الرئيس لكم كفيلة
 لقد أوجزت خيفة أن يقولوا
 حصيف واجعلوا الحسنى جدلا
 تزيدوا عروة الود اتصالا
 محوتم عنكم قيلا وقالوا
 على رغم الخطوب ولن يزالوا
 نسيم في قصيدته تعالى

احمد نسیم

—*—*—*—*—*—*—*—*—*—

قصیدۂ خلیل مطران

في عيد رأس السنة الهجرية

(قال حضرة الشاعر الكبير والكاتب الشهير خليل أفندي مطران هذه القصيدة الفريدة)
(يحيى بها عيد رأس السنة الهجرية ، يلفها باثارة من تاريخها ساطع ويذكر حكماتها)
(وقد أودعها من غوالي الصبح ما يري القراء : قال —)

هل الملال خيوا طالع العيد
يا حرف شك ستلقانا على ثقة
كأن حسنك هذا وهو رائعا
لله في الخلق آيات وأعجبها

حيوا البشير بتحقيق المواعيد
وقد عهدنا إلى في نون توكيد
حسن لبكر من الأعمار مولود
تجديد روعتها في كل تجديد

فتیان مصر وما أدعو بدعوتکم
سوی الاهله من علم ومن أدب
المستسر شعار المقتدين به
فی العين رمز لمیقات یحد به

سوی مجبین أحرار مناجید
مؤملین لفضل غیر محدود
العاملین بغری منه مقصود
وفی النهی رمز جد غیر محدود

ما زال من مبدأ الدنيا ينبثنا
فان تسيروا الى الغايات سيرته
ان التمام بمسامة ومجهود
الى الكمال فقد فزتم بمنشود

* *

اليوم عيد به معنى السرور لكم
رسالة الله لا تنهى بلا نصب
رسالة الله لو حلت على جبل
ولو تحملها بحر لشب لظى
فليس بدعا اذا ناء الصفي بها
ينوى الترحل عن اهل وعن وطن
يكاد يمكث لولا ان تداركه
ولم يكن بدؤه يوما لتعيد
يشقى الامين وتغريب وتنكيد
لاندك منها وأضحى بطن أخذود
وجف وانها لفيه كل جلمود
وبات في ألم منها وتسييد
جارا عليه بقلب منه مكمود
أمر الاله لامر منه موعود

* *

فاذغلا القوم في ايدائه خطالا
دعا الموالين ازماعا لهجرته
مضى هو البدء والصديق يصحبه
مواليا وجهه شطر المدينة في
حتى اذا اتخذ الغار الامين حى
حنا عليه فما مثواه منا سوى
يا للعقيدة والصديق في سهر
ان العقيدة ان صحت وزلزها
أما الذين بقوا من صحبه فتلوا
ما جند قهر أو كسرى اذا افتخروا
وشردوا تابعية كل تشريد
فلم يحبه سوى الرهط الصناديد
يغامر الحزن في قفر صيخود
ليل أغر على الادهار مشهود
ونام بين صفاء قوم مجهود
مشوى الجنين من البكرية الرود
تؤذيه أفعى ويكى غير منجود
منفى القرى ففى حصن غير مهود
سارين في كل مسرى غير مرصود
كهؤلاء الاعزاء المطاريد

كانهم في الدجى والنجم شاهدم
في حيلة الله ما شعت أسنتهم
فرسان رؤيا لشأن غير معهود
فوق الظلال على المهرية القود

* *

عانى محمد ما عانى بهجرته
وكم غزاة وكم حرب تحشمها
كذا الحياة جهاد والجهاد على
أدنى الكفاح كفاح المرء عن سفيه
وضل زاعم سوء لا اضطلاع له
ليغنم القيش طلقا كل مقتحم
ومن عدا الاجل المحتوم مطالبه
لمأرب في سبيل الله محمود
حتى يعود تمكين وتأيد
قدر الحياة ومن فادى بها فودى
للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
فالمجد اذ قال من يخلق فقد عودى
ولينغ في الارض شقا كل رعد
عدا القناء بذكر غير ملحود

* *

لقد علمتم وما مثلي ينبئكم
ما أنتجت هجرة الهادى لأئمة
وسودتها على الدنيا بأجمعها
يدا وللشرك أشياع توطده
والجاهليون لا يرضون خالقهم
مؤهلون عليهم من صنائعهم
مستكبرون اباة الضيم غر جحى
لا ينزل الراى منهم في تمرقهم
ولا يضم دعاء من أوأبدهم
ولا يطيقون حكما غير ماعقدوا
نكن صوتى فيكم صوت تريد
من صالحات أعدتها لتخليد
طوال ما خلقت فيها بتسويد
في كل مسرح باد كل توطيد
الا كعبد لهم في شكل معبود
بعض المعادن أو بعض الجلاميد
ثقال بطش لدان كالاماليد
الا منازل تشيت وتبديد
الا كما صيغ في غفر أبابيد
لدى لواء على الاهواء معمود

بأى حلم مبيد الجهل مرهقه
أعاد ذاك الفتى الأئى أمته
للك تالية الفرقان فى عجب
صعبان راضهما توحيد معشرهم
وزاد فى الارض تمهيداً لدعوته
وبدئه الحكم بالشورى يتم به
هوا هو الحق الاجماع أيده
أى مسلمى مصر دين الجذدينكم
طال التقاعس والاعوام عاجلة
هبوا الى عمل يجدى البلاد فما
سعيًا وحزماً فود العدل وذككم
لا تنعبوا لا تملوا ان ظلماتكم
تعلموا كل علم وانفوا وخذوا
فكوا العقول من التصفيد تنطلقوا
مصر القواد فان تبغوا سلامتها
الشرق نصف من الدنيا بلا عمل
الغرب يرقى وما بالشرق من هم
تشكو الحضارة من جسم أشل به

* *

أبناء مصر عليكم واجب جلال
فايرجع الشرق مرفوع المقام بكم
لبعث مجدد قديم العهد مفقود
ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد

ما أجهل الدهر اذ يأتى وأربعنا
والشرق والغرب معوانان قد خلصوا
صنوان بران فى علم وفي عمل
لا فعل يخطئ فيه الخير بعضهما
ولا خصومة الا فى استباقهما

* *

هذى الثمار التي يرجوا الانام لها
لمصر والشرق بل للخافقين معاً
جوزوا على بركات الله غامكم
رجاؤكم أبداً ملء النفوس فما
بدا الفلاح وفي هذا الهلال لكم
غد النرى البدر فى طرس السماء محاً

* *

كيف تربي البنت تربية صحيحة

باسمك اللهم ابدأ هذه الحياة الجديدة - حياة خدمة الامة التي هي فرض على كل فرد من أبنائها . وبعونك أفتح ذلك الدور الجديد من أدوار حياتي دور اهداء الامة شيئاً مما حصلت عليه في حياتي الدراسية التي قضيت فيها نحو ست عشرة سنة منكباً على الدرس متجولاً في سطور الاطراس متنقلاً من معهد علمي الى آخر ومن مملكة الى أخرى لا أمل الحسنة ولا رجاء لي سوى الحصول على شيء من العلم الصحيح واكتساب بعض الاخلاق والعادات التي تمكنني من ان أكون عضواً عاملاً بين أعضاء هذه الامة المخلصين . وهأنذا قد خصصت جزءاً من وقتي والله يعلم انه أضيق من عيش الاديب لأكتب فيه نبذاً في الاخلاق والتربية والاحوال الاجتماعية معتمداً في ذلك على التجارب والمعاشرة فهما خير مرشد في هذا الباب وأصدق مصدر لاصوله وفروعه . وبالله المعونة وهو ولي التوفيق هذا ولقد أردت بكتابة موضوع في الاخلاق لولا أن سألني ذو فضل أدبي عليّ (وما أقلهم عدداً في مصرنا) ان أضع برنامجاً لتربية البنت التربية الابتدائية فليت طلبه بكل سرور وارتياح . الا أن لي كلمة فيمن هي تلك البنت التي نريد وضع برنامج لها وما هي وظيفتها في هذه الحياة ودائرة اختصاصها وما هو مركزها الاجتماعي

(١) أما البنت التي نريد تربيتها فهي تلك البنت المصرية التي أدت بها سوء الحال الى استنكارها وهضم حقوقها واحجام اخوتها المصريين عن الاقتران بها والاعتماد عليها في الاحوال المعيشية

(٢) وأما وظيفتها فهي وظيفة الأم الرشيدة التي تقوم بها في كل الامم الراقية وهذه بدئية لا حاجة بنا الى ايضاحها في هذا المقام

(٣) وأما دائرة اختصاصها فهي المنزل ومصادر حاجياته من الحوانيت وما مائلاً

(٤) وأما مركزها الاجتماعي فهو أنها مديرة لمستعمرة صغيرة هي المنزل ورئيسة لجمهورية بسيطة هي ذريتها

اذا كان الأمر كذلك وجدنا أنه كما يشغل الرجل يومه بعمل كثير الصعوبات أو قليلها بنسبة مركزه في هذه الحياة وجب أن تشغل المرأة يومها كذلك بأعداد لوازم بيتها وزوجها وصبيها

كلنا يعلم أن المرأة شريكة الرجل في الحياة ولشكل منهما وظيفة مخصوصة أوجدتها وحتمتها نوااميس طبيعية لا مناص من اتباعها والسير على اقتضاها أهمها أن المرأة أم يجب عليها أولاً وقبل كل شيء أن تعرف كيف تسوس منزلها وتراقب خدامها وتربي أولادها وتقوم بواجبات زوجها كما أن الرجل يجب عليه أن يكد ويجهد في الحصول على ما يلزم لزوجته وولده من الحاجيات أولاً والكفايات اذا استطاع الى ذلك سبيلاً اذ ليس الغرض من تربية البنت أن تكون فيلسوفة أو مهندسة أو شاعرة أو الخ اللهم الا عدد قليل منهم ينحصر لان يكون من المعلمات والممرضات والطبيبات وهؤلاء لمن مميزات طبيعية تبدوا دلائلها من الصغر بل الغرض كما تقدم أن تكون مدبرة لمنزلها ومربية لصبيها ولا يتسنى لها ذلك الا بعلمها بقوانين تدبير ذلك المنزل ونوااميس تربية هؤلاء الصبية قد ضل كثير ممن وضعوا برامج

مدارس البنات في بلادنا عن الغرض المقصود وضالة الأمة المنشودة فتركوا كل ما البنت في حاجة اليه من العلم بالطبخ والخياطة وأمور التدبير المنزلية والقوانين الصحية الى غير ذلك مما سذكروه بعد أو شجنوها بأشياء ناقصة لا تخرج البنت منها على شيء سوى العزة التي مصدرها الجهل والغرسة والترفع على زوجها وذويها ظناً منها أنها بما أصبحت الكل في الكل وانها أرفع من أن تتعهد منزلاً أو تخدم زوجاً أو ترضع طفلاً أو تقوم معوجاً — وحقاً ان قليل العلم خطر . انما نسمعه صباح مساء من أخبار ما يقال عنهن في بلادنا متعلات لما يحزتنا قطوراً نسمنح أن احدهن طلبت الفراق من زوجها لانه عجز عن استحضار سميرة لها أو مربية لولدها ولا أريد ايراد أكثر من ذلك اذ ان هذا الحال غير محتاج الى برهان وكفي باضراب شباننا المصريين المربين عن الزواج بالمصريات المتعلات ذلك التعليم برهاناً محسوساً على ذلك . يريد هؤلاء الشبان وخصوصاً من تربى منهم في الممالك الاجنبية الزواج بأجنبية ذلك لما يراه في بلادهم من حسن ترتيب المنازل وعلو تربية الصبية وقيام ربات المنازل بوظائفهن خير قيام ولكن خير له أن يجهد نفسه في اختيار من تصلح زوجة له من بنات جنسه ويعلم أنه في دور جهاد في تربية البنت لا في دور ترف وتنعم ويسعى في اصلاح حال أخته في وطنيته ولغته ودينه وجنسيته ولا غرو أن هذا أفنع من أن يتزوج بأجنبية غره ظاهرها وهو في بلادها ولم يفكر فيما سيؤول اليه أمرها حينما تأتي مصرنا وتشاهد ما فيها وكلكم أعلم بمن فيها وما فيها انى أرى وهذا رأى كثير من المصريين العقلاء أن البنت الجاهلة في بلادنا (أى التي لم تترق للمدارس باباً) خير من التي تعلمت ذلك التعليم الناقص لان الاولى قادرة

بكل أعمال منزلها من طبخ وترييب ونظافة كما أنها قادرة على كل أعمال الخياطة والتطريز وتعهد ملابس زوجها زد على ذلك تعظيمها لزوجها ووضعها له في مركزه الحقيقي وقبولها النصيحة هذا مشاهد بالعيان غير أنها عاجزة عن مشاركتة في افكاره ومناقشته في اطواله المعاشية وتدير ثروته الا أننا نرى المصرية المتعلمة أتعس حالا من أختها في ذلك الشرط الاخير خلوها من التجارب في هذا الباب التي ربما حصلت عليها الاولى

هذا ما مهد لى طريق وضع البرنامج الآتى

ينقسم التعليم في ذلك الدور الاولى الى قسمين نظرى وعملى — أما النظرى فهذا برنامجه

(١) القراءة والكتابة بدرجة تتمكن البنت معها على فهم الكتب العلمية السهلة مع حسن النطق وجودة التعبير — أما الكتابة فيجب أن يصل بها الى درجة تمكنها من القدرة على كتابة الاشياء الضرورية التي ينط بها عملها في مستقبل أمرها

(٢) القواعد الدينية — بمعنى أن تكون التربية الدينية هى الاساس الذى تبنى عليه تربية البنات فتعلم البنت أحوال الدين وآدابه وليكن ذلك معزراً بحفظ شيء من آى القرآن المتضمنة لتلك الاحوال والمشتلة على مكارم الاخلاق وجميع العادات وتعلم كل بنت أصول دينها الذى تدين به سواء كان الاسلامى أو المسيحى الخ

(٣) مبادئ العلوم الكونية مثل الجغرافيا والتاريخ ويقتصر في ذلك على القدر الضرورى جداً فتعرف من الجغرافيا مثلاً شكل الارض وأقسامها وما فيها من الدول والممالك بطريقة اجمالية وكيفية تكوين البحار والانهار

والبحيرات والفرق بينهما وليكن ذلك بطريقة سهلة تطبيقية (بأن نخرجن ويشاهدن تلك الاشياء بأنفسهن تحت ارشاد من يتول تعليمهن كما هو متبع في الامم الراقية وكما هي القاعدة البيداغوجية) أما التاريخ فيتعلمن منه سيرة النبي الذي يعتق دينه ثم سير أعظم الرجال في كل عصر وكذلك الحوادث العظيمة . ولكن ذلك كله بطريقة مشوقة وأحسن الطرق لذلك أن تلقى هذه الاشياء بصورة حكايات بسيطة

(٤) الحساب وأم شئ من ذلك القواعد الاربعة البسيطة

(٥) علم وظائف الاعضاء

يجب أن تكون العناية بذلك عظيمة جداً لأن الجهل به هو منشأ الاضرار الكثيرة التي نشاهد نتائجها السيئة في أفراد العيالات وخصوصاً الفقيرات من اصابتهم بالامراض الفتاك والآفات القاتلة . وهالك ما يجب من هذا العلم : (١) حالة تركيب الجسم علي العموم . قانون الهضم والجهاز الهاضمي (حتى لا تملأ الامهات بطون الاطفال بما يجعل شكل الطفل مكعباً فلا يدري عرضه من طوله) الاسنان ووظائفها — النعم واللسان والغود اللعابية — المعدة (٢) الدورة الدموية وقوانينها وطرق اصلاح الدم — العمود الفقري — العظم . المواد المرنة — المفاصل ووظائفها — القلب وتركيبه وخروج الدم منه وعودته اليه — الرئتين ووظيفتهما — قانون التنفس الشهيقي والزفير

قوانين الصحة العامة

(٣) الغذاء وأنواعه وخواصها . أجزاء الطعام — الغذاء اللابني وخواصه الطبيعية — المواد الآتية — المادة الدهنية — السكرية البشرية

(٢) الاملاح والاحماض الخضراوية والطبيعية — الماء وتركيبه واستعماله وهضمه

(٣) تحويل الطعام بالحرارة والعمل الى دم والى مواد أخرى لا تستقر في الجسم . الحرارة الحيوانية . تكوينها وقيمتها

(٤) الامراض التي يمكن التحوط منها والتي لا يمكن . أسباب الامراض الطفيلية وتأثيرها في جسم الانسان . كيفية تولد الامراض من الجراثيم ومقارنة الجسم بها

(٥) الهواء . ضرورته . عدم تنقية الهواء ووجود المواد الاجنبية فيه والامراض التي تنشأ عن ذلك . موارد هذه المواد الاجنبية . تنقية الجو الحيفي بالانسان . درجات تنقية الهواء

(٦) الماء . تركيب الماء وعدم خلوه من المواد الاجنبية . فوائد الماء صناته وخواص مياه الشرب . الماء بقسميه (١) سهل الهضم (٢) عسر الهضم الامراض التي تنتج من المياه غير النقية . طرق تنقية الماء والى هنا انتهى القسم النظري

القسم العملي — التدبير المنزلي

(١) تجهيز الاطعمة . الطبخ . نسب اجزاء الطعام المختلفة . درس انواع الطعام المختلفة

(٢) لحوم الحيوانات ومعرفة الغث والثلث منها وما يترتب علي كلا النوعين من المنافع والمضار — الخضروات المستعملة في الغذاء وما يوافق منها لكل فصل من فصول السنة المختلفة . ترتيب الغذاء وانتخابه حسب الظروف مع معرفة تأثير كل نوع في جسم الانسان

(٣) طعام الاطفال . التغذية باللحوم والخضراوات . حفظ الاطعمة لمدة معلومة مع معرفة التحولات اللازمة لذلك

(٤) الامراض التي تنشأ من بعض الاطعمة ومن المشروبات اذ الميراث قانون الصحة مثل الشاي والقهوة والكوكو والمشروبات الروحية والتدخين (٥) الملابس ومعرفة المواد المختلفة المستعملة فيها . الخياطة . التطريز .

تفصيل الملابس وما يلزم للمنزل من انواع الخيطات

(٦) غسل الملابس بأنواعها . الاقشة . الاصواف الخ . كي الملابس وترتيبها . ملابس الرجال . ملابس النساء . ملابس الاطفال مع معرفة غسل كل نوع ومقدار ما يستعمل منه . الملابس الليلية أى ملابس النوم . الملابس المناسبة لكل فصل من فصول السنة . ترتيبها بعد الغسل وقبله

قوانين الصحة الخاصة بالمنزل

(١) موقع المنزل وترتيبه . حسن ترتيب مشتملات المنزل

(٢) الاساسات المنزلية من فرش وأدوات الطبخ الخ

(٣) تجديد الهواء . الكمية المحتاج اليها من الهواء الجديد النقي . الغرض من تجديد الهواء الوسائل الطبيعية لتجديد الهواء بواسطة النوافذ وما شاكها . وسائل الاهوية الصناعية مثل المراوح الكهربائية والهواء المضغوط وغيره

(٤) وسائل التدفئة . وهذه في بلادنا نقطة تستعمل عند اللزوم مع اجتناب الطرق الضارة المستعملة في الارياض (الافران في حجرة النوم)

(١) الضوء وموارده بالمنزل . الضوء الطبيعي . الصناعي

(٦) الماء وموارده بالمنزل . مجارى المياه والتحفظ من ضيقها لما يترتب على ذلك من الرطوبة والقذارة

(٧) النظافة اليومية للمنزل . تنظيف حجرة النوم . حجرة العمل الكتابي ونحوه . تنظيف المطبخ وتعهدته وتنظيف آنيته . تنظيف الاشياء المنزلية على العموم . المراحيض . العناية التامة بنظافتها وتجديد هوائها

قوانين الصحة الشخصية

(١) النظافة الشخصية على العموم — نظافة البشرة — وظيفة الماء الحار والصابون الحمامات الحارة والباردة ومتى يجب استعمال كل منهما

(٢) نظافة الشعر — الاسنان — الاظافر — العين وحمام العين — الانف والاذن وطرق تنظيفها ونحو ذلك (والفن النظر هنا على الخصوصي لنهي ما يشاهد من تنظيف الانف في الطريق أو المجتمعات فان هذا مأخوذ علناجد)

(٣) يجب أن تتبع في تنظيف الاعضاء المتقدمة الطريقة الطبية وترك ما يستعمله الجهلاء من المواد السامة التي قضت على كثير من الاطفال

الاسعافات الوقائية

(١) التمريض وتعهد المريض — الاعماء وكيفية تعهده — الدوران وطرق علاجه داء النقطة — التشنيج العصبي — التسمم بالاحماض — الكوليرا والايون والتحذير بالمخدرات الاخرى

(٢) المواد الاجنبية في العين وكيفية تقاطها وكذا في الانف والاذن

(٣) الزيف من الانف . الرئتين المعدة . الجروح وطرق ربطها . الحرق والقيام بما يلزم له . الرضوض والمصادمات ومقاومة ضررها

(٤) حالة الحمى وما يلزم لها . السعال . الدفتيريا

(٥) التحولات اللازمة حين وجود الحمى بالمنزل وتطهير المنزل بعد ذهابها

(٦) التمريض وكيفية حمل الشخص المريض واعطاء الدواء لذوى العلال (الفن النظر هنا الى الممرضات الانجليزيات حين تقديم الدواء والغذاء للمرضى تدخل الواحدة منهن

باسمة الثور . هادئة السير مظهره اللطف والعطف باحسن مظاهرها . لاشك أن هذا
تأهون على المريض حاله ويشرح صدره ويعظم أمله في الشفاء)

هذا ويجب تعليم فن التمريض في آخر سنة من سنى المدرسة . وهاك نموذجاً مما يجب
أن تتعلمه البنت من الاسعافات الوقتية المتقدمة وطرق التمريض . مثلاً تعلم انها اذا رأت
إنساناً تعلق النار بثيابه فاحسن ما تفعله أن تبادر الى ملأه ونحوها وتلفه بها كي ينقطع
التهاب النار وانقطاع الهواء بدون أن تسبب له أذى . هذا ما يعمل لاطفاء النار وهاك
طريقة تعهده واسعافه

تنزع ثياب المصاب بكل هدوء واعتناء حتى لا ينزع شيء من الجلد معها ثم يلف جسمه
ولا سيما الجزء المحروق بثياب نقية خفيفة ناعمة لمنع الهواء عن الجلد . ثم يوضع قليل
من محلول البوريك أو ماء الورد في ماء حار ويوضع فيه العضو المحروق أو يغسل باعتناء
ثم يجفف بخرقه من الشاش الناعم أو القطن المندوق ثم تغمس خرقة بقليل من زيت
الزيتون النقي ويضمد بها الجرح ثم توضع فوقها خرقة شافة وتربط حتى يحضر الطبيب
وهاك مثالاً آخر لتعبد المصروف أو المنقوط واسعافه

أن علامة المصاب بالتشنج هي تحركه بشدة حركات غير ارادية وهذه تسمى تشنجا
ويصبح صيحة قوية ويجمع اصابعه فوق ابهاميه وتجتمع الرغوة على فمه ويضرب يديه
ورأسه وسائر جسمه كما أنه بعض لسانه بشدة وأول ما يجب عمله أن يمنع ذلك المسكين
من إلحاق الضرر بنفسه فيلقي على ظهره وتوضع ذليئة أو منديل بين أسنانه حتى لا بعض
لسانه وتحل عري قميصه وطوقه ويمنع من الاصطدام بالأشياء التي حوله ثم تلاحظ مدة
النوبة التي تنشأ به ويخبر الطبيب بذلك

هذا أيها الراغبون في تربية البنت ما بدالي وكل حر في رأيه ولقد شاهدت بعيني
حاجة المرأة الشديدة الى ذلك لاني أعرف أكثر من واحد أصيبوا بالتشنج العصبي فما
كان من بعض الزوجات الا أن ظن أن على زوجها عفتها وأحضرت الزار وعدته
وعدهه ولما لم ينجح في ذلك استبدلت هذا باستحضار محضري العفريت وما يعرفون
بأولاد الطريق بالقراء . وأخذ هذا الجمع يذكر وينشد ليسعف المريض وما زاده ذلك
الاخلاق في عقابه وتشنجا في عصبه ورزؤه اعلى رزئه وما فعلت ذلك الا عن جهل بناتنا
فاتقوا الله في هذا الجنس الضعيف اللطيف والاجتماعي

الهلال والصليب

✽ مؤلفه ✽

(الكاتب العثماني الحر الكبير)

خليل خالد افندي

استاذ اللغة التركية في جامعة كبرديج

الحائز لشهادة الحقوق من الاستانة

وشهادة الاستاذية الشرفية في العلوم من جامعة كبرديج

وصاحب المؤلف المشهورة في الدفاع عن الشرق والاسلام

عصره عن الانجليزية

حضرة الكاتب الفاضل ابراهيم رمزي افندي

ونظر فيه وأجازه

الشيخ عبد العزيز جاويز

منشئ مجلة الهداية

يوسع نطاق عقل أولئك الذين يقرءونه . لا يقرؤه أحد حتى يكون أقرب
إلى فهم الشرق منه فيما مضى »

وكتبت مجلة « العالم الاسلامي » الفرنسية ان مؤلف خليل أفندي
هو تهمكم حادولكنه ملي عظة وفائدة وكرما عظيما . انه وفي موضوعه وفصله
تفصيلا . خليل أفندي بكره الخيالات والقصص ولا يعتمد الا على الشريف
من الاعمال . فهو يحللها ثم يركبها ويبرزها صورة واحدة لبحث سديد .

ويذلك كان مؤلفه المهلال والصليب غاية في الابداع

« وكتبت مجلة الجمعية البلجيكية لدراسة المستعمرات »

ان هذا الكتاب يبحث عن الاسلام . مؤلفه رجل شرقي الاصل
ولكن له الملم تام بكثير من لغات الغرب وله علم واسع بافكار اوربا السائدة
ونحن لا يسعنا لما حوى هذا الكتاب من الفضل الا أن نلقت اليه القراء
والى ما يحذو أمم الشرق جميعا على مقاومة حكم الدول المسيحية »

هذا بعض ما قرظت به جرائد اوربا كتاب

المهلال والصليب وهو كاف في

الدلالة على فضله

والله أعلم

م

☆ فهرس السنة الاولى من مجلة الهدايب ☆

﴿ على الترتيب الابجدي ﴾

صفحة	صفحة
٥٩٧ » » »	(١)
٣٣٠ الاسلام في لندن	٣٤٢ اتباع المصطفى خلاف الأولى
٤٣ الاسلام في البلاد المسيحية	٢٨١ الاجتهاد في الاسلام
٦٢ اصطبح (سؤال عن كلمة)	٦٦ الاحاديث الموضوعة
٦٩٠ أصل وضع اللغة العربية	١٤٤ » » »
٦٢ اضافة ممتعة (سؤال)	٣٤٣ » » »
٦٣ اغتلي (سؤال عن كلمة)	١٢٦ الاحاديث الموضوعة (سؤال)
٢٣٨ أغلاط العرب	١٢٧ الاخوة في الرضاع (سؤال)
٤٣١ آفة الافيون	٦٤ إربا إربا (سؤال عن كلمة)
٢٣٧ أكثر الاضافات تعددا (سؤال)	٧٢ أسئلة وأجوبتها (ملاحظة)
١٢٠ انتشار الاسلام في أفريقية	٢٣٦ استعمال عربي
	٧ أسرار القرآن (تفسير)
(ب)	٧٣ » » »
٧٢ بدل المجلة	٢٠١ » » »
٣٤٨ البعث والنشور (سؤال)	٢٥٧ » » »
٢٤٦ بين الروسية وفارس	٣٧١ » » »
	٤٧٥ » » »
(ج)	

٦٠	وضعت به (تصحيح استعمال)
٤٦٣	وفد مسلمي الصين الى جلالة السلطان
٤٤	الاوقاف العثمانية
(ز)	
٧٢٢	ذلات الاقلام
(ح)	
٣٦٥	حالة المسلمين الاجتماعية
٣٢٣	الحالة في فارس
٧٠٩	حجاب المرأة في الاسلام
١٨٢	الحزب الاشتراكي
٩٤	حفظ اللغة صيانة للجنس
٦٧٨	حق التأليف
٤٤٤	حقيقة الاسلام
١٧٦	حياة روسو
٢٤٧	» » »
٥٥٥	الحياة في الشرق
٦٨١	الحياة العسكرية
٤٠	الحيوانات

٢٣٩ معرض اسلامي

٤٧٣ معرفة الاخلاق بالطعام

٦٦٠ مقاومة انتشار الجرائم

٦٩٥ منصب الرسالة

٣٧٥ منشيء المجلة بين يدي القضاء

(أقوال الصحف العربية

والافرنجية في حادثته)

(ن)

١٢٨ نادى دار العلوم واللغة العربية

٣٩ النجم الجديد ذو الذنب

٣٤٩ نزول القرآن (سؤال)

٥٤٧ النسخ في القرآن (حكمنه)

٤١٩ النشوء والارتقاء

٣٣٥ نقد تفسير جزء تبارك

٣٦٠ نمو الأمة

(س)

٢٣٢ السحر وتأثيره

٣٩ سنة السيارات

(ع)

٥٨٣ العرب ومذهب دارون

٧٢٦ العام الهجرى

١٥٩ عظة للسكاري

١٨٤ علم النفس

٢٩٨ » » »

٣٠٣ علم الأصول

٤٦٦ » » »

٥٠١ علم الفلك (تاريخه)

٣٥٥ علموا المرأة (قصيدة)

٦٧٩ العلوم والجامعة

٤٢ عمار آذنة

(ف)

١ فاتحة المجلة

٦٨٥ فائدة الصالحات

١٩٩ الفرق بين الفرق (كتاب)

(ص)

١٣٠ الصحف العربية والهندية

(تقاريط)

١٢٣ الصرع

٥٧٧ صناعة التأليف

(ق)

٣٣٣ القرآن وأسراره

٢٠ القرآن في مشجر الطعان

٣١٤ القضاة والنواب (صحيفة من

تاريخ)

١٢١ قوة الاسلام

٧٣٢ قصيدة نسيم (في العام الهجرى)

٧٣٥ قصيدة خليل مطران (في العام

الهجرى)

(ر)

٦٨٨ رفع عيسى الى السماء

٣٤٢ الرقي والحرية (قصيدة)

(ش)

١٦٤ الشريعة الاسلامية والشورى

١٩٤ الشعر والشعراء

١١٦ شىء عن بخارى

(ت)

٤١ تاريخ العلوم

٥١٩ التأليف في الاسلام (سعته)

٦٨٥ تأثير الحسد

٢٣٧ تحرير لفظتين في بيتين (سؤال)

٦٧٦ التربية في فارس

٣٤٧ التصديق بالغيب (سؤال)

٦١٣ التعاذير الشرعية والتعادي

الوضعية

٦٠ التناضل (سؤال عن كلمة)

١٤٥ تفسير جزء تبارك

٣٨٧ » » »

٧٠١ » » »

٦٨٥ تفسير آية (ولكم في القصاص

٦ تمهيداً لسرار القرآن

٦٩٤ تزويج البكر نفسها

(خ)

٦٥٣ خطبة وكيل الحقاينة (في مشرو

الازهر)

٤٠٤ خفقان القلب

١٠٨ الخلق والاجتماع

(ذ)

وقد نال الاسلام حظوة كبرى في بلاد الانجليز أيضا . فقد أسست هناك في خلال السنين الاخيرة جمعيات كثيرة اسلامية للانجليز المهاجرين من المستعمرات الانجليزية الذين دخلوا في الدين الاسلامي . وقد أسس هؤلاء المسلمون في مدينتي لندن ولغزبول وغيرهما عدة مساجد وجمعيات دينية ومدارس لتربية الاطفال وخطوا خطوات واسعة في الصحافة أيضا . ومن أشهر جمعياتهم « المدنية » و « الاخوة الاسلامية » و « الهلال » و « الاتحاد الاسلامي »

وجمعية لاتحاد الاسلامي السابقة الذكر تعد مركز اتفاق المسلمين في بلاد الانجليز . وغرضها الاول نشر الدين والاخلاق والعلم في العالم الاسلامي والسعي في تقوية المسلمين من الوجهة الاقتصادية . وعدا ذلك فانها تقوم بالذود عن بيضة الاسلام وتحول دون انتشار الافكار والترهات التي تمس بكرامة الدين الاسلامي راجعة في ذلك الى أعون الذرائع وأنجعها مادة يد الممونة الى المحتاجين من المسلمين

وأول من يعضد هذه الجمعية حضرة السيد محمد عبدالله المأمون وهو هندي الاصل وله أياد بيضاء في نشر الاسلام في انجلترا وله تأليف كثيرة أشهرها (الاحاديث النبوية) و « اساس الحقوق الاسلامية » و « أصل الاعتقاد في الاسلام » و « شكسبير وآداب الشرق » و (لا اكره في الدين) وغيرها وفوق ذلك فهو يصدر جريدة خاصة بالعالم الاسلامي

﴿ الاوقاف العثمانية ﴾

تعني نظارة الاوقاف العثمانية بالاراضي المهمة التي اتخذت مقابر فان

في أهم الاحياء في المدن التركية غالبا وفي الاستانة خاصة أرضا أعدت لان تكون قبور ليس الا والنظارة تفكر في الانتفاع بهذه الارض وقد عيّنت بتحويلها ابنية تصلح للسكنى . فاذا تم هذا المشروع ربحت خزينة الاوقاف منها ما يقدر ريعه بمدة ملايين

البرية والتعليم

— المرأة المصرية المسلمة —

انني تأملت أحوال الامة المصرية وما فيها من الشقاء وفساد الاخلاق ثم اندفعت الى التفكير في مناشيء المفسد التي تقع عليها الابصار في كل بقعة وفي كل وقت فهائم اسمعوا نتأجج بحثي

خلق الرجل للكفاح والجلاد والاسفار ور كوب الاخطار وحماية الذمار والقيام على المستضعفين من النساء والولدان . لذلك عيّنت الامم الحكيمة الرشيدة بأخذ الرجل منها بكل ما يجعله صالحا لتأدية ما خلق لاجله من تلسم التكليف الشاقة أما في مصر فلا يخرج بعض الشبان من منازلهم الا بعد أن يقضوا امام المرايا الساعات السديدة صارفين الوقت في فرق الرؤوس وفتيل الشوارب واحكام البنائيق وتسوية الاربطة الرقبية الهفافة وتخير مواقع الطرايش من الرؤوس وتضييق السراويل المحددة لما يوجب الدين والحياء والادب ستره من أجزاء الجسم . يعمل ذلك الشاب وهو رجل يراد منه أن يخشوشن في عيشه ليستطيع القيام بما ألقى على كواضيه من تكاليف الحياة